المسؤولية الوطنية نحو الوطن

دراسة موضوعية

في ضوء السُّنة النبوية

✍ إعداد الدكتور

شهاب الدين محمد أبو زهو

الأستاذ المشارك بقسم السُّنة وعلومها

كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد – السعودية

الأستاذ المساعد بقسم الحديث وعلومه

كلية أصول الدين والدعوة بطنطا - جامعة الأزهر – مصر

E mail: ShehabEldinMohamed.18@azhar.edu.eg

شكر وتقدير

هذا البحث تم دعمه من خلال البرنامج البحثي العام بعمادة البحث العلمي – جامعة الملك خالد – المملكة العربية السعودية (بالرقم G.R.P-٢٥٦-٤٠)

ملخص البحث

المسؤولية الوطنية نحو الوطن دراسة موضوعية في ضوء السُّنة النبوية

إعداد الدكتور / شهاب الدين محمد أبو زهو

لا يخفى على المتابع لواقعنا اليوم انشار كثير من الأفكار الخبيثة التي تعصف بأمن الوطن واستقراره، وأن هذا يحتاج بصفة مستمرة إلى الدراسات المتخصصة العميقة التي تواكب حاجة المجتمع، وتلبي مطالبه في تأسيس أفراده بفئاتهم جميعًا – خاصة الشباب – على الفكر المستقيم والوطنية الصادقة من غير إفراط ولا تفريط ولا انحراف ولاشذوذ ولا اعوجاج. وقد عُنِيَتْ السُّنةُ النبوية عناية فائقةً بالأوطان ومواطنيها، واهتمت ببيان حقوقها والواجبات نحوها، وذلك حرصًا منها على أمن الأوطان وسلامتها، وحمايتها من الشرور والأخطار الداخلية والخارجية. وقد حفلت السُّنة المطهَّرَة بالكثير من الأحاديث النبوية التي تظهر اهتمامًا بالغًا برعاية الأوطان وحقوق المواطنة وبنائها على أسس قويمة، وحمايتها من عوامل الانحراف والشبهات التي تعصف بسلامة المجتمع المسلم وأمنه واستقراره، خاصة عند وقوع الأزمات العَقدية والفكرية ومواجهة الأفكار المضلِّلة، وقد جاء هذا البحث ليكشف عن أبرز جوانب هذه المسؤولية الوطنية، وبيان أصولها، وتأييدها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ ليكون حصنًا آمنًا لشبابنا من الأفكار المنحرفة التي باتت تعمل بجميع الوسائل على اجتيال دينهم، واغتيال وطنيتهم، وتجنيدهم في تحقيق الأهداف الخبيثة للأعداء وأهل الأهواء.

وكان السؤال الأبرز الذي يريد البحث الإجابة عنه: ما هي الأمور التي أرشدت إليها والسُّنة النبوية للوصول بالأوطان والمواطنين إلى درجة عالية من الوعي والمسؤولية؟

وكان من أبرز نتائج البحث: أن السُّنة النبوية دلت بقوة على أهمية الأوطان في نفوس أهلها، وأنه لا تعارض بين حب الوطن والانتماء إلى الأمة الإسلامية، وأن من حق الوطن على أهله: المشاركة في تخطيطه وتطويره، والحفاظ على المال العام من

الضياع، والسعي في استثماره، والإسهام الفاعل والإيجابي في كل ما من شأنه خدمة الوطن ورفعته، وأن السُّنة النبوية قد اهتمت بالتصدّي لكل أمر يترتب عليه الإخلال بأمن وسلامة الوطن.

الكلمات المفتاحية: المسؤولية – الوطنية – دراسة – موضوعية – السُّنة النبوية – الوطن – المواطن –المجتمع.

E mail: ShehabEldinMohamed.18@azhar.edu.eg

❁❁❁❁❁❁

Abstract

The incidence of malicious ideas that afflict the national security and stability of the society, is well known to all the followers of our present situation.

Although, this phenomenon needs continuously to go through some deep specialized studies that fit into the needs of the society and accommodate its demands, which are represented in establishing the individuals of the society in all categories – especially the youth – in accordance to the straight and sincere patriotic ideology, without compromising or overdoing or deviation or anomaly.

The Prophet's Sunnah took great care of the homelands and their citizens, and it have been very concerned with the statement of their rights and the duties towards them, in the interests of the security and safety of the homelands and their protection from evils and internal and external dangers.

The Sunnah has been flooded with a lot of authentic prophetic hadiths that show a keen interest in the welfare

of the homelands and the rights of citizenship and build them on sounder foundations, and protect them from the factors of deviation and suspicion that affect the safety, security and stability of the Muslim community, especially when Faith and intellectual crises took place in the society, so we had to do a lot of effort confronting the misguided ideas.

Therefore, this research came along, to reveal the most salient aspects of this national responsibility, revealing its origins, and the endorsement of Qur'anic verses and prophetic hadiths to this great responsibility, to be a safe fortress for our youth from all deviant ideas and beliefs that are trying so hard to destroy their faith and religion, and assassinate their patriotism, and also trying to recruit the youth to achieve the malicious aims of the enemies.

Hence, this research is looking for an answer to this significant question:

What are the things that we have been guided to -by - the prophetic Sunnah- to be able to reach out to a high degree of awareness and responsibility towards our homelands and citizens؟

So far, the foremost result of this research is : that the Prophetic Sunnah seriously demonstrated the importance and the value of the homelands in the hearts of their people, and that there is no conflict between the love of the homeland and belonging to the Islamic Nation.

Accordingly, the research proved that the countries have a lot of rights on their people, such as : the participation in its planning and development, the investment of the public finance as well as protecting them from loss, the positive contribution in every single aspect which can serve the Nation in a way or another.

Finally, this research has proved that the Prophetic Sunnah has firmly defeated anything that can ever affect the security and integrity of the Nations.

Keywords : Responsibility – National – Study – Thematic – Prophetic – Sunnah – Nation – Citizen – Society.

E mail: ShehabEldinMohamed.18@azhar.edu.eg

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمدًا طيبًا كثيرًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن دين الإسلام العظيم بمصدريه الرئيسين –القرآن الكريم والسُّنة النبوية– قد عُنِيَ عناية فائقةً بالأوطان ومواطنيها، واهتم ببيان حقوقها والواجبات نحوها، وذلك حرصًا منه على أمنها وسلامتها، وحمايتها من الشرور والأخطار الداخلية والخارجية.

وقد ظهر في زماننا نوع غريب غاية الغرابة من التَنَكُّر لحقوق الأوطان، والتمرد عليها، وضعف الانتماء إليها، وقلة الغيرة عليها، وكذلك التقصير في القيام بحقوق المواطنة والمواطنين، حتى سيطرت هذه الأفكار على عدد غير قليل من الناس خاصة الشباب، وأضلتهم عن سواء السبيل واجتالت عليهم دينهم، واغتالت وَطَنِيَّتَهم، حتى صاروا أدواتٍ طَيِّعَةً بين أيدي أعداء الداخل والخارج يفسدون بهم بين العباد، ويخربون بأيديهم البلاد.

ولذا كان من الواجب علينا أن نقوم ببيان ما يتعلق بالمسؤولية تجاه الوطن والمواطنين، والحقوق الواجبة نحوهما، لنُسْهم في التأصيل الشرعي من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية لهذه المفاهيم الوطنية القويمة، ونرسخها في النفوس، وتكون دافعًا قويًا للقيام بها والاضطلاع بمهامها.

وقد حفل القرآن الكريم والسُّنة المطهَّرَة بالكثير من الآيات الشريفة والأحاديث النبوية التي تظهر اهتمامًا بالغًا برعاية الأوطان وحقوق المواطنة وبنائها على أسس قويمة، وحمايتها من عوامل الانحراف والشبهات التي تعصف بسلامة المجتمع المسلم وأمنه واستقراره، خاصة عند وقوع الأزمات العَقدية والفكرية ومواجهة الأفكار المضلِّلة، ولذلك فقد اتجه هذا البحث إلى بيان هذا المنهج المتميز الفريد في المسؤولية الوطنية نحو

الوطن والمواطنين، كل ذلك بوسائل غايةً في الكمال، تشمل الجوانب الإيمانية والوجدانية والاجتماعية والاقتصادية والدعوية والفكرية والسياسية والعلمية والإعلامية.

وإنَّ مِن أسباب الكتابة في هذا الموضوع: ما تموج به الأرض في عالم الناس اليوم من هرْج ومرْج، وانحراف فكري وعَقَديٍّ وسلوكي أدى إلى ضعف الانتماء الوطني والتقصير في القيام بحقوق المواطنة، وعِلَّةُ كل ذلك: الانحراف الفكري، والانحلالُ، وطَيْش العقول، واضطراب النفوس، وانتشار الفتن.

ومن هنا جاء هذا البحث -بتوفيق الله تعالى وفضله- ليكشف عن أبرز جوانب هذه المسؤولية الوطنية، وبيان أصولها، وتأييدها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ ليكون حصنًا آمنًا لشبابنا من الأفكار المنحرفة التي باتت تعمل بجميع الوسائل على اجتيال دينهم، واغتيال وطنيتهم، وتجنيدهم في تحقيق الأهداف الخبيثة للأعداء وأهل الأهواء، وسميت هذا البحث: **"المسؤولية الوطنية نحو الوطن، دراسة موضوعية في ضوء السُّنة النبوية"**.

رأيتُ أن أُلقي في هذا البحث الضوءَ الكاشف على المسؤولية الوطنية، وتجلية جوانبها المتنوعة، حتى يكون دليلًا هاديًا لكل من أراد الاقتداء بهَدْيِ سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم واتخاذه نبراسًا قويمًا في الوطنية والوفاء بحقوقها من حيث: الأرض، والسُّكان، والحُكَّام، وكان تناول البحث وفق الخطة التالية:

خطة البحث:

- **المقدمة:** وفيها عنوان البحث وخطته.
- **التمهيد**، وفيه:

أولًا: أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة.

ثانيًا: التعريف بمصطلحات البحث الرئيسة: (المسؤولية - الوطنية - السُّنة النبوية).

ثالثا: أهمية الأوطان ومكانتها في السُّنة النبوية.

رابعًا: علاقة حب الوطن بالمقاصد الشرعية.

مسؤولية المواطن تجاه وطنه، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: محبة الوطن والانتماء إليه.

المسألة الثانية: المشاركة في تخطيط الوطن وتطويره.

المسألة الثالثة: المحافظة على المال العام.

المسألة الرابعة: الدفاع عن الوطن ومواجهة أعدائه.

المسألة الخامسة: الدعاء للوطن.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج المستفادة من البحث وتوصياته.

هذا، وما كان من توفيق فمِنَ الله وحده، وما كان مِن خطأ أو تقصير فمِنِّي ومن الشيطان، وأسأل الله العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وكتبه

د. شهاب الدين محمد أبو زهو

الأستاذ المشارك بقسم السُّنة وعلومها

كلية الشريعة وأصول الدين – جامعة الملك خالد – السعودية

الأستاذ المساعد بقسم الحديث وعلومه

كلية أصول الدين والدعوة بطنطا – جامعة الأزهر – مصر

التمهيد

أولًا: أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة.

أهمية البحث:

١- أنه بحث حديثٌ لموضوع متعلق بأخطر قضايا المجتمع المسلم خاصة والإنساني عامة.

٢- أنه يتناول موضوعات متعلقة بالمسؤولية الوطنية من جوانب متعددة.

٣- بيان منهج الإسلام في حماية الوطن والمواطنين، وأنه قد أحاطهما بسياج منيع يحميهما من التفريط أو الإفراط في حقوقهما.

٤- أنه موضوع متعلق بمقاصد الشريعة الإسلامية كلها، وهي: حفظ الدِّين، وحفظ النفس، وحفظ العِرض، وحفظ العقل، وحفظ المال.

٥- أنه متعلق بما تشهده أُمَّتنا في عصرنا الحالي من ضعف الانتماء إلى الأوطان والتقصير في حقوق المواطنة، وهو الأمر الذي يُمثِّل خطرًا داهمًا، وتهديدًا شديدًا للثوابت الوطنية ومقوماتها التي أسسها الإسلام، والميل نحو إفساد الوطن والإخلال بأمنه وسلامته.

٦- أنه يستقرئ النصوص القرآنية والنبوية المتعلقة بالموضوع وإبراز ما تضمنته وتميزت به، وإلقاء الضوء على المراد منها، مع ربطها بالواقع وتوظيفها في تقديم الحلول المناسبة.

٧- الإسهام في صَدِّ الهجمة المواجهة ضد الإسلام ووَصْفِه بأوصاف هو بريء منها، مثل وصفه بأنه: "همجي صحراوي فوضوي لا يعرف المدنية ولا التحضر!".

مشكلة البحث:

لا يخفى على المتابع لواقعنا اليوم انتشار كثير من الأفكار الخبيثة التي تعصف بأمن الوطن واستقراره، وأن هذا يحتاج بصفة مستمرة إلى الدراسات المتخصصة العميقة التي تواكب حاجة المجتمع، وتلبي مطالبه في تأسيس أفراده بفئاتهم جميعًا – خاصة الشباب – على الفكر المستقيم والوطنية الصادقة من غير إفراط ولا تفريط ولا انحراف ولا شذوذ ولا اعوجاج، وهذه الدراسات المتخصصة تستلزم البحث عن موطن الداء ومكمنه، ورصد الأفكار التي تؤدي إلى الانحراف عن المسار الصحيح، وبيان الثوابت التي تَقِي الفرد المسلم وتحصنه وتحميه من كل ما يفسد عليه دينه، ويغتال وطنيته، وتعصمه من الانحراف به عن مساره الذي يخدم الأُمَّة والأوطان التي تنشد الاستقرار وتسعى نحو التقدم والنهوض واللحاق بركاب الحضارة العالمية، حتى تتسع دائرة عطاءاتها، وتغطي أوسع مساحة كيفًا وكمًّا، بل وتمتد عبر الأزمنة والأجيال اللاحقة، ومن هنا فقد جاء هذا البحث ليحاول الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما هي المسؤولية الوطنية التي حثت عليها السُّنة النبوية؟

٢- ما مدى اهتمام السُّنة النبوية بجوانب المسؤولية الوطنية وأثر ذلك على المجتمع المسلم خاصة والبشرية عامة؟

٣- ما أبرز الجوانب المتعلقة بالمسؤولية الوطنية التي أبرزتها السُّنة النبوية؟

٤- ما هي الأمور التي أرشدت إليها والسُّنة النبوية للوصول بالأوطان والمواطنين إلى درجة عالية من الوعي والمسؤولية؟

٥- كيف كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يتعامل مع ما يتعلق بالجوانب الوطنية؟

أسباب اختيار البحث:

تتمثل أسباب اختيار البحث في النقاط الآتية:

١- انتشار التقصير في القيام بواجبات المسؤولية الوطنية حتى تَحَوَّلَ ذلك إلى مشكلة تمثل خطرًا داهمًا على الأوطان.

٢- براعة المنهج النبوي في بيان جوانب المسؤولية الوطنية، والتحذير من الإخلال بالواجب نحوها.

٣-دقة السُّنة النبوية في توصيف الثوابت والمبادئ الوطنية، وبراعتها في بيانها والدعوة إليها؛ حتى يعيش الوطن في أمن وأمان.

أهداف البحث:

يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى الوصول إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- التعريف بالمنهج النبوي في بيان المسؤولية الوطنية.

٢- الوقوف على ما ورد في السُّنة المطهرة حول الجوانب المتنوعة للمسؤولية الوطنية.

٣-إبراز الدور العظيم للسُّنة النبوية في حماية الأوطان وإقامتها على أسس من السِّلم العام الذي يشمل المسلمين وغيرهم ممن يعيشون في الدولة المسلمة.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات عديدة تناولت المسؤولية الوطنية في السُّنة النبوية من نواحٍ متعددة، ولا شك أن تلك الدراسات لها أهميتها، وتلتقي مع هذا البحث في أصل فكرته، وإن كان قد وقع بينها اختلاف في طريقة العرض والتناول والتفصيل والإيجاز، ومع ذلك فقد استفاد الباحث بتلك الدراسات، وكان لها فضل الريادة والتوجيه في هذا المجال.

وتتميز هذه الدراسة -التي بين أيدينا- بأنها تُبيّن معنى المسؤولية الوطنية، وتُسَلِّط الضوء على أبرز الجوانب المتعلقة بها وبأنواعها التي بلغت خَمْسًا، تحت كل نوع منها ما اشتمل عليه من الثوابت والمبادئ الوطنية، وما يدل عليها من الأحاديث

النبوية، والآثار عن سلف الأمة الصالحين، وتتميز هذه الدراسة كذلك بأنها مبنية على استقراء هَدْي خير العباد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، ومنهجه في بناء الوطنية الصادقة على أساس من الوحي الصادق، وقد تناولت بعض الأبحاث والدراسات هذا الموضوع الخطير، وكانت هذه الدراسات تتقاطع مع مباحث في هذا البحث ويُعد هذه البحثُ مُكملًا لها، **ولعل من أهم تلك الدراسات ما يلي:**

- **المسؤولية الوطنية في الإسلام**[1]، للدكتور/ سعد المرصفي، وقد بناه مؤلفه على فصلين؛ أولهما تكلم فيه عن درجات المسؤولية. والآخر: تناول فيه مسألة الدفاع عن الوطن. وقد تناول هين العنوانين على سبيل العموم، وجاءت الأحاديث النبوية والآثار فيه قليلةً جدًّا، وغلب عليه الأسلوب البلاغي الإنشائي؛ وذلك لأنه كما صرح في مقدمته قد ألقاه في الإذاعة الكويتية وقام بتحضيره على عَجَل.

ولم يتطرق الباحث الكريم إلى تقسيم المسؤولية الوطنية في السُّنة النبوية إلى أنواع رئيسة -وقد بلغت خمسة أنواع في هذا البحث-، تحت كل نوع منها ما يتعلق به من المبادئ الوطنية وما يدل عليه من الأحاديث النبوية، والآثار عن الصحابة وغيرهم من سلف الأمة الصالحين، وهو الأمر الذي تميز به هذا البحث -بفضل الله تعالى-، مع كل التقدير لمن أسهم في هذا المجال، والله لا يضيع أجر المحسنين.

منهج البحث:

١- اتباع المنهج التأصيلي عند تعريف المصطلحات، والمنهج الاستقرائي متمثلًا في الاختيار مما صح من الأحاديث النبوية، وانتقاء ما يناسب المقام منها، ويفي بغرض البحث، نظرًا إلى طبيعة مثل هذه البحوث وضيق مساحتها عن استيعاب جميع ما ورد

(١) الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، دار اليقين - المنصورة - مصر.

في هذا الباب، والمنهج التحليلي متمثلًا في تدبر الأحاديث النبوية وبيان هداياتها المتعلقة بالمسؤولية الوطنية ومعالمها المتميزة.

٢- توثيق النصوص وتخريج الأحاديث حسب المعهود علميًّا، مكتفيًا في التخريج بالصحيحين أو أحدهما، مع الإشارة إلى الزيادات المهمة عليهما إن وجدت، فإن لم يكن الحديث فيهما: خرَّجْته تخريجًا متوسطًا من بعض المصادر حسبما يناسب طبيعة البحث ومساحته بما يكفي لإظهاره وبيان درجته.

٣- التعريف بما يلزم من المصطلحات الشرعية والمفردات اللغوية الواردة في البحث.

ثانيًا: التعريف بمصطلحات البحث الرئيسة: (المسؤولية – الوطنية – السُّنة النبوية).

١- تعريف المسؤولية:

لعل اشتقاق كلمة المسؤولية مرجعه إلى (السِّين والهمزة واللام، كلمة واحدة، يقال سأل، يسأل، سؤالًا ومسألة)[(١)]، واسم الفاعل منه: السائل، واسم المفعول: المسؤول، والمصدر الصناعي: المسؤولية. ويدور معنى سأل حول عدة أمور منها: قولهم: سأله بكذا، وعن كذا: استخبره عنه وطلب منه معرفته. وسأله عن كذا: حاسبه عليه وآخذه به. وسأله الشيء: طلبه منه. وسأله الوعد: طلب وفاءه وإنجازه[(٢)].

(١) "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس، بتحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون (ص:١٢٤)، باب: السين والهمزة وما يثلثهما، ط: دار الجيل – بيروت – لبنان.

(٢) انظر: "تاج العروس"، لمحمد مرتضى الزبيدي (٣٦٥/٧-٣٦٦)، فصل السين المهملة مع اللام، ط: دار الصادق – بيروت.

وقد عُرِّفت المسؤولية تعريفات متنوعة باعتبارات مختلفة حسب نوع العلم والمجال المتعلق بها، ونختار من هذه التعريفات ما يأتي:

- جاء في "المعجم الفلسفي" لمجمع اللغة العربية أن المسؤولية هي: (شعور الإنسان بالتزامه أخلاقيًّا بنتائج أعماله الإدارية فيحاسب عليها إن خيرًا وإن شرًّا)(١).

- وجاء في "معجم اللغة العربية المعاصرة" أن المسؤولية الأخلاقيّة هي: (التزام الشّخص بما يصدر عنه قولًا أو عملًا، والمسئوليّة الجماعيّة: التزام تتحمّله الجماعة)(٢).

- وقال الدكتور مقداد يالجن إن أن المسؤولية هي: (تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العلمية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى، وأمام ضميره في الدرجة الثانية، وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة)(٣).

- وقال الدكتور أحمد بن عبد العزيز إن المسؤولية هي: (أهلية الشخص أن يكون مطالبًا شرعًا بامتثال المأمورات، واجتناب المنهيات، ومحاسبًا عليها)(٤).

ونستطيع أن نوجز تعريفًا جامعًا للمسؤولية يشتمل على ما يتعلق بمسائلها، على النحو الآتي:

المسؤولية هي: قيام الإنسان بما كُلِّف به، ورعايته فطريًّا ودينيًّا ودنيويًّا، وما يترتب على ذلك من الجزاء بالخير أو بالشر.

(١) "المعجم الفلسفي"، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (ص:١٨١)، ط سنة ١٩٧٩م، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

(٢) "معجم اللغة العربية المعاصرة"، للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، (١٠٢٠/٢)، دار عالم الكتب، ط: ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٣) "التربية الأخلاقية الإسلامية"، لمقداد يالجن، ص: ٣٣١، ط١، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٧٧م.

(٤) "المسؤولية الخلقية والجزاء عليها"، للدكتور أحمد بن عبد العزيز الحليبي. ص: ٧١. مكتبة الرشد بالرياض، ط: الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٤م.

٢- تعريف الوطنية:

في اللغة مأخوذة من قولهم: وطَن فلانٌ بالمكانِ: أقام به، سكَنه وألِفه واتَّخذه وطَنًا. والوَطَن: بلد الآباء والأجداد، وهو مكانُ الإنسان ومقرُّه، وإليه انتماؤه، وُلِد به أو لم يولد. وواطَنَ القومَ: عاش معهم في وَطَنٍ واحدٍ. والْمُواطِن: مَنْ نشَأ معك في وطن واحد. والوطَنِيّ: شخص منتمٍ إلى بلد يتمتع بالحقوق السياسيّة كافّة وحقّ تولِّي الوظائف العامّة؛ لكونه مولودًا فيها أو حاصلًا على جنسيتها.

ويُعَرَّف الوطني بأنه: مَنْ يُحبُّ وطنَه ويخلص له ويضحِّي من أجله، ويعمل على نصرته، ويدعو إلى استقلال بلاده.

وأمَّا الوطَنيَّة فإنها: اسم مؤنَّث، منسوب إلى وَطَن، وهي: حُبّ الوطن والإخلاص والتَّضحية من أجله[(١)].

تعريف المسؤولية الوطنية:

ونستطيع من خلال ما سبق تعريف **المسؤولية الوطنية** بأنها: الانتماء إلى الوطن وحبُّه والإخلاص له، والتمتعُ بكافة الحقوق والمزايا فيه، والقيامُ بالواجبات المفروضة، والتضحيةُ من أجله، والعملُ على نصرته واستقلاله، والدفاعُ عن قضاياه ومقوماته السياسية والاقتصاديّة والثقافيّة وغيرها، وتأمينُ سلامة أراضيه.

٣- تعريف السنة النبوية:

أقتصر في هذا المقام على تعريف علماء الحديث، فإنهم يبحثون في السُّنة عن رسول الله الإمام الهادي، النبي الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي أخبرنا ربنا - سبحانه وتعالى- أنه أسوتنا وقدوتنا، ومِنْ ثَمَّ فقد نقلوا كل ما يتصل به من أقوال،

(١) "معجم اللغة العربية المعاصرة" (٣/٢٤٦١-٢٤٦٣)، ط دار عالم الكتب، ط:١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

وأفعال، وتقريرات، سواء أَثْبَتَ ذلك حُكْمًا شرعيًا أم لم يُثْبِتْ، كما نقلوا عنه أخباره، وشمائله، وقصصه، وصفاته خَلْقًا وخُلُقًا، ومن هنا فقد عرفوا السُّنة بأنها: "ما أُثر عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم مِن قولٍ، أو فعلٍ، أو تقريرٍ، أو صفةٍ خَلْقية، أو خُلُقيةٍ، أو سِيرَةٍ، حتى الحركات، والسكنات، في اليقظة، والمنام، سواء كان قبل البعثة، أو بعدها"(١).

ثالثًا: أهمية الأوطان ومكانتها في السُّنة النبوية.

إن الانتماء إلى الوطن فطرة مغروسة في طبيعة الإنسان، وجِبِلَّة مستقرة في نفوس الأسوياء، يتجلى ذلك الانتماء وهذه الجِبِلَّة في الارتباط الوثيق بين الإنسان وأرضه التي تربَّى فيها ونشأ عليها وأهله وقومِه الذين عاش بينهم، وقد أظهر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك المعنى حين خرج مهاجرًا من مكة إلى المدينة إذْ لا شيء أشق على النفوس وأكثر إيلامًا لها من مفارقة الأوطان، كما يبينه الحديث الآتي:

- روى الترمذي بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَاقِفًا عَلَى الحَزْوَرَةِ(٢)

(١) انظر: "فتح المغيث بشرح ألفية الحديث" للسخاوي (١٤/١)، ط دار المنهاج. و"اليواقيت والدرر" للمناوي (٢٢٨/١)، ط الرشد. و"الحديث المحدثون" (ص١٠)، للعلامة الدكتور/ محمد محمد أبو زهو. و"تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير" (ص:١٩) لشيخنا أ.د/ مروان شاهين.

(٢) **الحَزْوَرَة**: -بوزن قَسْوَرة، وضبطها بعضهم بفتح الواو مع التشديد-: معناها: الرابية الصغيرة، أو التل الصغير، وهي موضع بمكة عند باب الحناطين. انظر: "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (٣٨٠/١)، وهي ما يعرف اليوم باسم "القُشَاشيّة": مرتفع يقابل المسعى من مطلع الشمس، وكان -ولا يزال- سوقًا من أسواق مكة. انظر: "معجم المعالم الجغرافية في السيرة" لعاتق بن غيث الحربي، ط دار مكة للنشر والتوزيع - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، (ص:٩٨).

فَقَالَ: "**وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**"(١).

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه -سبحانه- أن يغرس في قلبه حب المدينة المنورة -وطنه الثاني- مثل حبِّه مكة -وطنه الأول- كما في الحديث:

- روى الطبراني بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "**قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَكَّةُ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مَا خَرَجْتُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا مِنْ حُبِّ الْمَدِينَةِ مِثْلَ مَا جَعَلْتَ فِي قُلُوبِنَا مِنْ حُبِّ مَكَّةَ**"، وَمَا أَشْرَفَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْمَدِينَةِ قَطُّ إِلَّا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ الْبِشْرُ وَالْفَرَحُ(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" في المناقب، باب: في فضل مكة (٧٢٢/٥) رقم (٣٩٢٥)، بلفظه، وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب"، وابن ماجة في "سننه" في كتاب المناسك، باب: في فضل مكة (١٠٣٧/٢) رقم (٣١٠٨)، بنحوه، والدارمي في "سننه" في كتاب السير، باب: في إخراج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة (١٦٣٢/٣) رقم (٢٥٥٢)، بلفظه، والنسائي في "سننه الكبرى" في كتاب المناسك، باب: فضل مكة (٢٨٤/٤) رقم (٤٢٣٨)، بلفظه، وابن حبان في "صحيحه" في كتاب الحج، باب: فضل مكة (٢٢/٩) رقم (٣٧٠٨)، بلفظه، والحاكم في "مستدركه" في كتاب الهجرة (٨/٣) رقم (٤٢٧٠)، بنحوه، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، كلهم من طريق: عقيل، وهو ابن خالد الأيلي.
وأخرجه النسائي في "سننه الكبرى" في الموضع السابق برقم (٤٢٣٩)، بنحوه، وأحمد في "مسنده" (١٢/٣١) رقم (١٨٧١٦)، بنحوه، كلاهما من طريق: صالح، وهو ابن كيسان.
وأحمد في "مسنده" (١٠/٣١) رقم (١٨٧١٥)، بلفظه، من طريق: شعيب، وهو ابن دينار.
ثلاثتهم (عقيل، وصالح، وشعيب)، عن الزهري، عن عن أبي سلمة، عن عبد الله بن عدي بن حمراء، به، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٣٦١/١٢) رقم (١٣٣٤٧)، وسند الطبراني فيه: وَهْبُ بْنُ يَحْيَى بْنِ زِمَامٍ، وهو "ضعيف، وقد وثقه جماعة"، كما قال الحافظ ابن حجر في "مختصر زوائد البزار على الكتب الستة ومسند أحمد" (٧٧/١). وشيخ وهْب: مَيْمُونُ بْنُ زَيْدٍ، وقد =

ومما يدل بقوة على أهمية الأوطان في نفوس أهلها أن النبي صلى الله عليه وسلم قد دَعَا أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ رَحْمَتِهِ مَنْ أَخْرَجَهُ مِنْ أَرْضِهِ، وَأَنْ يُبْعِدَ اللهُ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ وَطَنِهِ، كما روى البخاري بسنده عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ؛ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا... الحديث**»(١).

وروى أبو نعيم بسنده في "حلية الأولياء" عن إبراهيم بن أدهم قوله: "عالجت العبادة فما وجدت شيئا أشد عليَّ من نزاع النفس إلى الوطن"(٢).

وذكر العجلوني في "كشف الخفاء" عن الأصمعي قال: "سمعت أعرابيًا يقول: إذا أردت أن تعرف الرجل، فانظر كيف تَحَنُّنه إلى أوطانه، وتَشَوُّقُه إلى إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه"(٣)، وروى ابن النجار بسنده في "ذيل تاريخ بغداد" عن أبي بكر محمد بن داود قال:"من لم يشرب ماء الغربة، ولم يضع رأسه على ساعد الكربة، لم يعرف حق الوطن والتربة، ولم يعرف حق ذي العلم والشيبة"(٤)، ونقل العامري في "الجد الحثيث" عن الأصمعي حكمة هندية جميلة المعنى تقول:"ثلاث خصال في ثلاثة

=

ذكره ابن حبان في "الثقات"، ولَيَّنَه أبو حاتم الرازي. انظر: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٢٣٩/٨)، و"لسان الميزان" لابن حجر (٢٣٨/٨).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب فضائل المدينة، باب: كراهية النبي صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة (٢٣/٣) رقم (١٨٨٩).

(٢) "حلية الأولياء"، لأبي نعيم الأصبهاني، ط السعادة – مصر، سنة: ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م، (٣٨٠/٧).

(٣) "كشف الخفاء"، لإسماعيل العجلوني، ط دار التراث بالقاهرة (٤١٥/١).

(٤) "ذيل تاريخ بغداد"، لابن النجار، مطبوع مع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ط دار الكتب العلمية – بيروت، (٢٠٧/١٦).

أصناف من الحيوان: الإبل تحن إلى أوطانها، وإن كان عهدها بعيدًا، والطير إلى وكره، وإن كان موضعه مجدبًا، والإنسان إلى وطنه، وإن كان غيره أكثر نفعًا"[(١)].

قال الجاحظ: "كانت العرب إذا غزَتْ، أو سافرتْ، حملتْ معها من تربة بلدها رملًا وعفرًا تستنشقه"[(٢)].

قال الغزالي: "والبشر يألَفُون أرضَهم على ما بها، ولو كانت قفرًا مستوحَشًا، وحبُّ الوطن غريزةٌ متأصِّلة في النفوس، تجعل الإنسانَ يستريح إلى البقاء فيه، ويحنُّ إليه إذا غاب عنه، ويدافع عنه إذا هُوجِم، ويَغضب له إذا انتقص"[(٣)].

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن مفارقة الوطن والبعد عنه نوعٌ من أنواع العذاب النفسي، وأنه لا يجد الرَّجُل لذة عيشه، ولا راحة نفسه وبالِه، إلا بالمكث والقرار على أرض وطنه، كما في "الصحيحين" بسنديهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ نَوْمَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ، فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ**».

قال ابن عبد البر: (فيه دليل على أن طول التغريب عن الأهل والوطن لغير حاجة من دين أو دنيا لا يصلح ولا يجوز، وأن من انقضت حاجته لزمه الاستعجال لأهله)[(٤)]، وذكر الخطابي: أن فيه حجة لمن رأى تغريب الزاني بعد جلده؛ لقوله تعالى:

(١) "الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث"، لأحمد بن عبد الكريم العامري، تحقيق: بكر عبد الله أبو زيد، ط دار الراية – الرياض، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٢هـ، (٨٥/١).

(٢) "الرسائل"، لأبي عثمان الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة: ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، (٢٩٣/٢).

(٣) "حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي"، للشيخ محمد الغزالي ص(٨٦)، ط نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، أكتوبر ٢٠٠٥م.

(٤) "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد"، لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، ط وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، سنة: =

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] [النور:٢]، وكان الحجاج يقول: "لولا فرحة الإياب لما عذبت أعدائي إلا بالسفر"[2].

وقال ابن تيمية: (والنفْس -يقصد السوية- تحن إلى الوطن إذا لم تعتقد أن المقام به محرم أو به مضرة وضياع دنيا)[3]، وها هو موسى -على نبينا وعليه الصلاة والسلام- قد حَنّ إلى وطنه بعد أن خرج منه مجبرًا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص:٢٩].

قال ابن العربي معلقًا على هذه الآية الكريمة: (قال علماؤنا: لما قضى موسى الأجل طلب الرجوع إلى أهله، وحنّ إلى وطنه، وفي الرجوع إلى الأوطان تقتحم الأغرار، وتركب الأخطار، وتعلل الخواطر، ويقول: لما طالت المدة لعله قد نُسيت التهمة وبَلِيت القصة)[4].

١٣٨٧هـ، (٣٦/٢٢).

(١) "فتح الباري"، للحافظ ابن حجر، ط دار المعرفة - بيروت، سنة: ١٣٧٩هـ، (٧٣٠/٣).

(٢) "اللطائف والظرائف"، لأبي منصور الثعالبي، ط دار المناهل - بيروت، بدون رقم طبعة وتاريخ، ص(٢٢٧).

(٣) "مجموع فتاوى ابن تيمية"، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، بتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، بدون رقم الطبعة، سنة الطبع: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، (٤٦٣/٢٧).

(٤) "أحكام القرآن"، لأبي بكر ابن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة، سنة: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، (٥١١/٣).

رابعًا: علاقة حب الوطن بالمقاصد الشرعية.

من الأحكام الإسلامية -وتلك غاية ثابتة في كل الأحكام الإسلامية-: تحقيق المصلحة، فما من أمر شرعه الإسلام بالكتاب والسُّنة إلا كانت فيه مصلحة حقيقية، وإنْ خفيت تلك المصلحة على بعض الذين غشاهم الهوى. والمصلحة التى يريدها الإسلام هى المصلحة الحقيقية المعتبرة، وهي ترجع إلى المحافظة على أمور خمسة: الدين، والنفس، والمال، والعقل، والنسل، وذلك لأن الدنيا التى يعيش فيها الإنسان تقوم على هذه الأمور الخمسة، ولا تتوافر الحياة الانسانية الرفيعة إلا بها، ولذلك كان تكريم الانسان في المحافظة عليها.

فالدِّين لا بد منه للإنسان الذي تسمو معانيه الإنسانية عن دركة الحيوان، لأن التدين خاصة من خواص الإنسان، ولا بد أن يَسْلَم له دِينُه من كل اعتداء.

والمحافظة على النفس هي المحافظة على حق الحياة العزيزة الكريمة، والمحافظة على النفس تقتضي حمايتها من كل اعتداء عليها حِسيًّا كان أو معنويًّا، كما أن من المحافظة على النفس: المحافظة على كل أمر يتعلق بالكرامة الانسانية، فَحَمَى الإسلام حرية العمل وحرية الفكر وحرية الإقامة، وغير ذلك مما تعد الحريات فيه من مقومات الحياة الإنسانية الكريمة الحرة التى تزاول نشاطها في دائرة المجتمع الفاضل من غير اعتداء على أحد.

والمحافظة على العقل هى حفظه من أن تناله آفة تجعل صاحبه عبئًا على المجتمع ومصدر شرٍّ وأذىً للناس. والمحافظة على العقل تتجه إلى أن يكون كل عضو من أعضاء المجتمع الإسلامى سليما يمد المجتمع بعناصر الخير والنفع، فإنَّ عقل كل عضو من أعضاء المجتمع ليس حقًّا خالصا له، بل للمجتمع حق فيه باعتبار كل شخص لبنة من بناء المجتمع، إذ يتولى بعقله سداد خلل فيه فمن حق المجتمع أن يلاحظ سلامته.

والمحافظة على النسل هى المحافظة على النوع الإنسانى وتربية الناشئة تربية تربط بين الناس بالإلف والائتلاف، وذلك بأن يتربى كل ولد بين أبويه، ويكون للولد حافظ يحميه، وأن ذلك اقتضى تنظيم الزواج، واقتضى منع الاعتداء على الحياة الزوجية فيكثر النسل ويَقْوَى، ويكون صالحا للائتلاف والامتزاج بالمجتمع الذي يعيش فيه.

والمحافظة على المال تكون بمنع الاعتداء عليه، وتنظيم التعامل بين الناس على أساس من العدل والرضا، وبالعمل على تنميته ووضعه في الأيدي التي تصونه وتحفظه، وتقوم على رعايته.

وهذه الأمور الخمسة هى التي جاءت من أجل المحافظة عليها الشرائع السماوية، وتحاول الشرائع الوضعية أن تحققها، ولقد قال في ذلك حجة الإسلام الغزالى: "إنَّ جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخَلْق، وصلاح الخَلْق في تحصيل مقاصدهم، لكنا نعني بالمصلحة: المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخَلْق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يُفَوِّت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة"(١).

وهذه المصلحة المنضبطة في هذه الوجوه ليست مرتبة واحدة، بل هي على مراتب ثلاث:

المرتبة الأولى: مرتبة الضروريات وهي التى لا تتحقق وجوه المصلحة المذكورة إلا بها، فالضروري بالنسبة للدين يكون بمشروعية القتال مع الحربيين، وقتل المرتدين والزنادقة وأصحاب البدع المكفرة فإن الحرابة والردة والزندقة والبدع أمور مناسبة لوجوب

(١) انظر: "المستصفى في علم الأصول"، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، (ص:١٧٤).

القتل القتال والقتل، ويلحق بالضروري مكمِّلُه المؤكِّد له فيكون في رتبته وذلك كما بولغ بحفظ الدين بتحريم البدع السيئة، وشرع التعزير عليها، وقد بين الغزالى الضروري في هذه الأمور فقال: "وَهَذِهِ الْأُصُولُ الْخَمْسَةُ حِفْظُهَا وَاقِعٌ فِي رُتْبَةِ الضَّرُورَاتِ، فَهِيَ أَقْوَى الْمَرَاتِبِ فِي الْمَصَالِحِ وَمِثَالُهُ: قَضَاءُ الشَّرْعِ بِقَتْلِ الْكَافِرِ الْمُضِلِّ وَعُقُوبَةِ الْمُبْتَدِعِ الدَّاعِي إِلَى بِدْعَتِهِ، فَإِنَّ هَذَا يُفَوِّتُ عَلَى الْخَلْقِ دِينَهُمْ، وَقَضَاؤُهُ بِإِيجَابِ الْقِصَاصِ أَدَبُهُ حِفْظُ النُّفُوسِ، وَإِيجَابُ حَدِّ الشُّرْبِ إِذْ بِهِ حِفْظُ الْعُقُولِ الَّتِي هِيَ مِلَاكُ التَّكْلِيفِ وَإِيجَابُ حَدِّ الزِّنَا إِذْ بِهِ حِفْظُ النَّسْلِ وَالْأَنْسَابِ، وَإِيجَابُ زَجْرِ الْغُصَّابِ وَالسُّرَّاقِ إِذْ بِهِ يَحْصُلُ حِفْظُ الْأَمْوَالِ الَّتِي هِيَ مَعَاشُ الْخَلْقِ وَهُمْ مُضْطَرُّونَ إِلَيْهَا"[(١)].

وفي الجملة دفع كل ما يترتب عليه فوات أصل من الخمسة المذكورة الأصول يعد ضروريًّا، وقد شدد الشارع الإسلامي في حمايته، وأعطاه فضلًا من التأكيد.

المرتبة الثانية: مرتبة الحاجي، وهو الذي لا يكون الحكم الشرعى فيه لحماية أصل من الأصول الخمسة، بل يقصد دفع المشقة أو الحرج أو الاحتياط لهذه الأمور الخمسة، وقد تقرر أن من الحاجيات المحافظة على الحرية الشخصية والحرية الدينية فإن الحياة تثبت مع هذا، ولكن يكون الشخص في ضيق، ومن الحاجيات بالنسبة للعقل تحريم شرب القليل مما يسكر منه الكثير.

المرتبة الثالثة: مرتبة التحسينات أي الكماليات، وهي الأمور التي لا تحقق أصل هذه المصالح، ولا الاحتياط لها، ولكنها ترفع المهابة، وتحفظ الكرامة، وتحمى الاصول الخمسة، وغير ذلك مما لا يمس أصل الحياة، ولا حاجيات من حاجياتها، ولكن يمس كمالها ويشينها، وذلك يلي المرتبتين السابقتين[(٢)].

(١) نفس المصدر السابق (ص:١٧٤).
(٢) انظر: "أصول الفقه"، د. محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي – القاهرة، (ص:٢٤١-٣٥٠)، بتصرف كبير.

وقد قرر العلماء أن رعاية هذه المصالح الشرعية –الضروريات والحاجيات والتحسينيات– يكون من جانبين:

الأول: ويتمثل في حفظها من جانب الوجود، وذلك بتحقيق ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وهذا بالتزام كل ما من شأنه الأداء إلى تنميتها وتحريكها وتمكينها من أداء ما أنيط بها من التكاليف في هذا الوجود الدنيوي.

الثاني: ويتمثل في مراعاتها من جانب العدم بدرء الخلل الواقع والمتوقع عنها، وذلك بتشريع الأحكام الدفعة والرافعة لجميع أنواع الضرر الذي قد يترتب عليه إقصاءٌ جزئيٌّ منها أو إلغاء إحدى الكليات فيمنعها من الاستمرار في الوجود وأدائها لمهمتها المنوطة بها شرعًا(١).

ولأجل حماية هذه المقاصد السابقة فإنَّ من مات من المسلمين يدافع عن وطنه المعتدَى عليه، فإنه مات يدافع عن جميع هذه الأمور أو بعضها؛ وبالتالي فهو شهيد، وهذا أعظم برهان على بيان علاقة حب الوطن بالمقاصد الشرعية، يدل على ذلك المعنى المهم الحديث الآتي:

– روى النسائي بسنده عن سعيد بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»**(٢).

(١) انظر: "المقاصد العامة للشريعة الإسلامية"، د. يوسف حامد العالم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي – الرياض، الطبعة الثانية (١٤١٥هـ – ١٩٩٤م)، (ص:٣٦٦).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" كتاب السنة، باب: في قتال اللصوص (٣٩١/٤) برقم: (٤٧٧٢)، والترمذي في "جامعه" أبواب الديات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد (٨٨/٣) برقم: (١٤٢١)، والنسائي في "المجتبى" كتاب تحريم الدم، باب: من قاتل دون أهله (٨٠٧/١) برقم: (٤١٠٦/١) واللفظ له، وأحمد في "مسنده" (٤١٠/١) برقم: (١٦٧٤)، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

و(كما أن الإسلام جعل الوطنية حقًّا من حقوق الشعوب، والمحافظة عليه حياةً لها بين الأمم، فلا معنى لحياة أمة وهي تفقد حق استقلالها في أرضها وبلادها، وتعيش تحت هيمنة عدوِّها وحُكمه؛ فتلك أمَّة مَيْتة وإن كانت في حكم الأحياء، يقول الأستاذ محمد عبده في هذا المعنى: "تلك سُنَّة الله – تعالى – في الأمم التي تجبُن فلا تدفع العادين عليها، وحياة الأمم وموتها في عرف الناس جميعهم معروف؛ فمعنى موت أولئك القوم هو أن العدو نكَّل بهم فأفنى قوَّتهم، وأزال استقلال أمَّتهم حتى صارت لا تُعَد أمة، بأن تَفرَّق شملها، وذهبت جماعتها، فكل ما بقي من أفراده خاضعون للغالبين، ضائعون فيهم، مدعمون في غمارهم، لا وجود لهم في أنفسهم، وإنما وجودهم تابع لوجود غيرهم، ومعنى حياتهم عودة الاستقلال إليهم. إن الجبن عن مدافعة الأعداء، وتسليمَ الديار بالهزيمة والفرار هو الموت المخفوف بالخزي والعار، وإن الحياة العزيزة الطيبة هي الحياة الملِّية المحفوظة من عدوان المعتدين، والقتال في سبيل الله أعم من القتال لأجل الدين؛ لأنه يشمل أيضًا الدفاع عن الحوزة إذا همَّ الطامع المهاجم باغتصاب بلادنا، والتمتع بخيرات أرضنا، أو أراد العدو الباغي إذلالنا، والعدوان على استقلالنا، ولو لم يكن ذلك لأجل فتنتنا عن ديننا، فالقتال لحماية الحقيقة كالقتال لحماية الحق، كله جهاد في سبيل الله. ولقد اتفق الفقهاء على أن العدو إذا دخل دار الإسلام يكون قتاله فرض عين على كل المسلمين"[(١)])[(٢)].

(١) انظر: "الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده"،إعداد/ د. محمد عمارة، طبعة بيروت، ١٩٧٢م، (٤/٦٩٥-٦٩٧).

(٢) انظر: ملخص بحث: "الوطنية وتعدد الثقافات في الفكر الإسلامي"، د. أحمد بن عبد العزيز الحليبي، جامعة الملك فيصل، كلية التربية بالأحساء، قُدِّم للنشر (١٤٢٥/١١/٢٩هـ)، وقبل للنشر (١٤٢٦/٤/١٧هـ)، (ص:٩-١٠).

مسؤولية المواطن تجاه وطنه

(إن مفهوم المواطنة يعني الالتزام؛ بمعنى الانتماء إلى الوطن الذي يقتضي حماية أرضه، والنهوض برسالته التي هي رسالة الإسلام، والجهاد في سبيل الحفاظ على حُرُماته ومقدساته، والذَّبِّ عن منجزاته الحضارية بشقيها: المعنوية والمادية.

إننا في الوقت الحاضر وأكثر مما مضى بحاجة مُلِحَّة إلى تعميق هذا المفهوم في عقول الناشئة؛ بعد أن تسلَّلت بعض الأفكار والآراء الغريبة على بيئة هذا الوطن المسلم، وفوجئ أبناؤه بالأحداث الدامية التي استهدفت المواطنين الآمنين، والمقيمين المستأمنين)[1]، وفيما يأتي نستعرض بعض المسائل المتعلقة بمسؤولية المواطن تجاه وطنه:

المسألة الأولى: محبة الوطن والانتماء إليه.

- روى البخاري بسنده[2] عن أَنَس رضي الله عنه قال:"**كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ[3] الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ[4] نَاقَتَهُ، وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكَهَا**"، وفي رواية أخرى:"**كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ[5] الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ رَاحِلَتَهُ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ، حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا**"[6].

---

(١) نفس المرجع السابق (ص:١١).

(٢) في "صحيحه" في أبواب العمرة، باب: من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة (٧/٣) رقم (١٨٠٢).

(٣) **دَرَجَاتِ المدينة**: يعني طرقها المرتفعة، جمع دَرَجَة. انظر: "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، لبدر الدين العيني، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت، (١٣٥/١٠).

(٤) **أَوْضَعَ**: أسرع السير. نفس المصدر السابق (١٣٥/١٠).

(٥) **جُدُرَاتِ**: جمع جُدُر، وهو جمع جدار، نفس المصدر (١٣٥/١٠).

(٦) **حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا**: أكثر من حركتها، أي: أسرع. انظر: "فتح المنعم بشرح صحيح مسلم"، للأستاذ الدكتور/ موسى شاهين لاشين، ط دار الشروق، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، (٢٢٠/٥)، وذلك بسبب حبه للمدينة. انظر: "فتح الباري"، لابن حجر (٦٢٠/٣).

قال الحافظ ابن حجر: (فيه دلالة على فضل المدينة وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه)[١].

وقال الحافظ الذهبي مُعَدِّدًا طائفةً من محبوبات رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وكان يحبُّ عائشةَ، ويحبُّ أَبَاهَا، ويحبُّ أسامةَ، ويحب سبطَيْه، ويحب الحلواء والعسل، ويحب جبل أُحُدٍ، ويحب وطنه"[٢].

وقد قيل: "إن من علامة الرشد أن تكون النفس الى بلدها تواقة، وإلى مسقط رأسها مشتاقة"[٣].

و(إذا كان الاتجاه المذهبي عمل على ربط معنى الوطنية بالأرض والوطن؛ فإن الإسلام لا يتنكَّر لفطرة حب الوطن، ولا يعدُّه مناقضًا له؛ فقد صدق مصطفى كامل – وهو من الوطنيين المصريين – في قوله: "قد يظنُّ بعض الناس أن الدين ينافي الوطنية، أو أن الدعوة إلى الدين ليست من الوطنية في شيء، ولكني أرى أن الدين والوطنية توءمان متلازمان، وأن الرجل الذي يتمكَّن الدين من فؤاده يحب وطنه حبًا صادقًا"[٤]، ذلك أن الإسلام نظر إليه على أنه ميلٌ فطريٌّ راسخٌ في النفس، فنمَّاه، ولم يقيِّده بمضامين أي نزعة من النزعات ذات المنحى العنصري؛ بل ربط بينه وبين الدين، وعمل على إدماج البشرية بعضهم ببعض دون تمييز على أساس الحدود الجغرافية؛ فمدَّ

(١) "فتح الباري" لابن حجر (٦٢١/٣).
(٢) "سير أعلام النبلاء" للإمام الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثالثة، سنة: ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، (٣٩٤/١٥).
(٣) "ربيع الأبرار"، للزمخشري، ط مؤسسة الأعلمي – بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٢هـ، (١٩٧/١– ١٩٨).
(٤) انظر: "الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر"، د. محمد محمد حسين، الطبعة السادسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ، (٨٢/١).

بذلك مفهوم الوطن على امتداد العقيدة، ووسَّع مفهوم الوطنية لتكون انتماءً فطريًّا إلى الأرض، وموالاةً دينيةً لعقيدة الإسلام ومبادئه وقيمه.

إن انسجام الدين والوطنية وامتزاجهما معًا بحيث تكون الوطنية متشربةً للإسلام، ويكون الوطن دارًا له؛ هو الذي جعل للوطنية هذا المعنى الواسع الذي يتجاوز الحدود الإقليمية والمعنى المحصور في الأرض، ليرقى به من الأرض والموقع الجغرافي، إلى القيمة والمكانة والحُرْمة، ويقرنه بالمبادئ والقيم التي يؤمن بها من يقيم على هذا الوطن، لقد أظهر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في خطابه لمكَّة، وهو مهاجرٌ منها: «**ما أطيبك من بلد، وأحبَّك إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنتُ غيرك!!**»(١).

إن هذا المعنى يجلي موقف الفطرة في محبته صلى الله عليه وسلم لبلده مكة، معلِّلًا هجرته منه –رغم تعلّقه به ومحبته له– بإخراج كفار قريش له.

لقد أقر الإسلام هذا الانتماء، ولم يرَ حُبَّ الوطن منافيًا للإيمان، ولا ملازمًا له، فقد دل قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾ [النساء:٦٦]، دلت هذه الآية على حب هؤلاء لوطنهم، مع عدم تلَبُّسهم للإيمان(٢).

فإذا اتَّسقت دوائر الانتماء في فكر الإنسان، وتكاملت الحياة في ممارستها، ولم تكن متعارضة مع الانتماء إلى العقيدة فلن يكون هناك تناقض في الفكر، ولن يكون هناك مانع من العمل بكل دوائر الانتماء الفطري للإنسان؛ إن الأمر في علاقة الانتماء

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" في أبواب المناقب، باب: في فضل مكة (٥/٧٢٣) رقم (٣٩٢٦)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه".
(٢) انظر: "كشف الخفاء ومزيل الإلباس"، لإسماعيل العجلوني (١/٤١٤).

إلى الإسلام بالانتماء إلى الوطن ليتعدى حدود نفي التناقض إلى دائرة الامتزاج، والترابط، والاعتراف بما هو فطري؛ فالإسلام دين لا تتأتى إقامته إلا في وطن، ومكان، وجغرافيا، وهذا الواقع، والمكان، والجغرافيا لن يكون دارَ إسلام إلا إذا أصبح الانتماء إليه بُعدًا من أبعاد الانتماء الإسلامي العام، ومن هنا تأتي ضرورة الوطن لإقامة الدين(١)، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج:١٤١]، ويتقرر حق المسلم فطريًّا ودينيًّا في أن يعلن محبته لوطنه، وانتماءه إليه، وتفضيله على غيره في السكنى، والإقامة به، وحب الخير له، ونصرته دونعصبية تقطع آصرة أخوة الدين، أو تَشغَل عن الاهتمام بباقي أجزاء الوطن الإسلامي؛ فوطن المسلم ليس له حدود جغرافية؛ فهو يمتد مع امتداد العقيدة، وانتشارها في بقاع الأرض(٢)؛ إذ لا تعارض بين حب الوطن والانتماء إلى الأمة الإسلامية، فبِوُسع الإنسان أن يحب وطنه، ويحب إخوانه المسلمين في الأقطار الأخرى، فكما أن حب الوطن لا يناقض حب الأسرة؛ بل يكون متمِّمًا لها، كذلك حب الوطن لا يناقض حب المسلمين أينما كانوا؛ بل يكون متممًا له(٣))(٤).

(١) انظر: مقالة "الروح الوطنية"، للدكتور/ محمد عمارة، "مجلة المعرفة"، الكتاب العاشر "الوطنية كائن هلامي" الطبعة الأولى عام ١٤٢١هـ، ص٣٥.
(٢) انظر: "الرسالة الخالدة"، للدكتور/ عبد الرحمن عزام، الطبعة الأولى، ط مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٥هـ، (ص:١٤١).
(٣) انظر: "الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام"، للدكتور/ سليمان الحقيل، الطبعة الثانية، ط دار الشبل – الرياض ١٤١٣هـ، (ص:٣١).
(٤) انظر: "الوطنية وتعدد الثقافات في الفكر الإسلامي"، للدكتور/ أحمد بن عبدالعزيز الحليبي (ص:٦-٩)، بتصرف واختصار.

ومن الأدلة على ما يمثله الوطن عند الناس من أهمية كبرى: التهديد بالإبعاد عنه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [إبراهيم:١٣]، وقال -أيضًا- على لسان قوم لوط: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ [الشعراء:١٦٧]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ ﴾ [الأنفال:٣٠]، وجعل الإخراج من الوطن أخًا للقتل، قال -تعالى-: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْۖ﴾ [النساء:٦٦]، وقال تعالى في حكايته عن المؤمنين قولهم وهم يذكرون أحد أسباب قتالهم أعداءهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَاۖ﴾ [البقرة:٢٤٦]، وكان من العقوبات الشرعية الزاجرة التي ذكرها القرآن الكريم النفيُ من الوطن؛ لما في ذلك من شدة الإيلام وتعذيب النفوس، قال تعالى في بيان عقوبة حد الحِرَابة: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣]، قال الشافعي عن هذه الآية: (يكفيه مفارقة الوطن والعشيرة خذلانًا وذلًّا)[(١)]، وعدَّد ابن تيمية أنواع التعزير على جرائم الإفساد فقال: (والتعزير أجناس، فمنه ما يكون بالتوبيخ والزجر بالكلام، ومنه ما يكون بالحبس، ومنه ما يكون بالنفي عن الوطن، ومنه ما يكون بالضرب)[(٢)].

(١) "فتح الباري" لابن حجر (١١٠/١٢).
(٢) "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠٧/٢٨).

ومما يدل دلالة قوية على أهمية الوطن أن الله تعالى قد قرَنَه بالدِّين الذي يُفتدَى بالأرواح، فقال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة:٨].

ويدل على المعنى الذي أوضحته الآيات الكريمة السابقة: أن النبي صلى الله عليه وسلم ازداد ألَمُه واستنكاره حين أخبره ورقة بن نوفل أنَّ قومَه سوف يخرجونه من مكة حين يدعوهم إلى عبادة الله وحده كما في الحديث الآتي:

- روى الشيخان بسنديهما عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ -في حديث بدء الوحي الطويل-: "فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟!**»[(١)].

قال الحافظ العراقي: (في رواية ابن إسحاق أن ورقة قال -أي: لرسول الله صلى الله عليه وسلم-: لتُكَذَّبَنَّهْ ولَتُؤْذَيَنَّهْ ولَتُخْرَجَنَّهْ، فقال: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟!**»، فقال السُّهيلي: في هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقته على النفس؛ فإنه قال له:"لتُكَذَّبَنَّهْ"، فلم يقل شيئا، ثم قال:"ولَتُؤْذَيَنَّهْ"، فلم يقل له شيئا، ثم قال:"ولَتُخْرَجَنَّهْ"، فقال:«**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟!**»، ثم قال: والموضع الدال على تَحَرُّك النفس وتَحَرُّقِها إدخالُ الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه،

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب التعبير، باب: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة (٢٩/٩) رقم (٦٩٨٢)، ومسلم في "صحيحه" في كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٣٩/١) رقم (١٦٠).

وذلك أن الواو تُرَدُّ إلى الكلام المتقدم، وتُشعر المخاطب بأن الاستفهام على جهة الإنكار أو التكلف لكلامه والتألم منه)[1].

ومن دلائل محبة الوطن وصدق الانتماء إليه: التوجه إلى الله تعالى بالدعاء الصادق أن يبارك هذا الوطن وما فيه، ويحبِّبه إلى قاطِنِيه، كما يبينه الحديث الآتي:

- روى مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن المدينة: «**اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مُدِّنا، وفي صاعنا، بركة مع بركة**»[2]. وفي صحيح البخاري بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - أن رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أو أَشَدَّ**)[3]، وفي لفظ آخر للبخاري ومسلم بسنديهما عنها: (**اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**)[4].

ومن علامات الوفاء للوطن وصدق الانتماء إليه: التعرف إلى جغرافيته ومكوناته البارزة ومعالمه المتميزة، وهذا ما نستنتجه من الحديث الآتي:

(١) انظر: "طرح التثريب" للحافظ العراقي، الطبعة المصرية القديمة، بدون تحقيق، وبدون رقم طبعة وتاريخ، (١٨٥/٤).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" في كتاب الحج، باب: فضل المدينة، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها (١٠٠٠/٢) رقم (١٣٧٣).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"، في كتاب مناقب الأنصار، باب: مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة (٦٦/٥) رقم (٣٩٢٦).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب الدعوات - بَابُ الدُّعَاءِ بِرَفْعِ الوَبَاءِ وَالوَجَعِ (٨٠/٨) رقم (٦٣٧٢) واللفظ له، ومسلم في "صحيحه"، في كتاب الحج، باب: الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها (١٠٠٣/٢) رقم (١٣٧٦) بنحوه.

- وروى البخاري بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم طَلَعَ لَهُ أُحُدٌ فَقَالَ: «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي حَرَّمْتُ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا**[1]»[2].

ففي هذا الحديث بيان من النبي صلى الله عليه وسلم لحدود المدينة وأنها ما بين اللابتين وهما: حرتان، الشرقية: شرق المدينة، والغربية: في غرب المدينة، وتسمى الأولى واقم، وهي التي تكون شرقي المدينة، من جهة طريق المطار. والثانية: حرة الوبرة. وتنعطف الشرقية والغربية من جهة الشمال والجنوب، مما يجعل المدينة بين حرات أربع[3].

كما ورد في حديث آخر بيان لبعض الجهات الأخرى من حدود المدينة المنورة:

- روى الشيخان بسنديهما عَنْ عَلِيٍّ بْن أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: مَا عِنْدَنَا كِتَابٌ نَقْرَؤُهُ إِلَّا كِتَابُ الله غَيْرَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، قَالَ: فَأَخْرَجَهَا، فَإِذَا فِيهَا أَشْيَاءُ...، وَفِيهَا: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ**»[4].

---

(١) **اللابة**: الأرض التي ألبستها الحجارة السود. وهي: الحرّة -بفتح الحاء وتشديد الراء-: وهي أرض ذات حجارة سود نخرة، كأنها أحرقت بالنار. انظر: "النهاية في غريب الحديث والأثر"، لابن الأثير (٢٧٤/٤).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، في كتاب المغازي، باب: أحد يحبنا ونحبه (١٠٣/٥) رقم (٤٠٨٤).

(٣) انظر: "المعالم الأثيرة في السنة والسيرة"، تأليف: محمد بن محمد حسن شُرَّاب، دار القلم- بيروت، والدار الشامية - دمشق، الطبعة: الأولى - ١٤١١ هـ، (ص: ٩٨)، و(ص:٢٣٥).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب الفرائض، باب: إثم من تبرأ من مواليه (١٥٤/٨) رقم (٦٧٥٥)، ومسلم في "صحيحه" في كتاب الحج، باب: فضل المدينة، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها (٩٩٤/٢) رقم (١٣٧٠).

ونلمح من كتابة هذا الوصف الجغرافي لحدود المدينة المنورة دعوةً نبوية كريمة إلى تسجيل المعالم الجغرافية المهمة للأوطان؛ لتتوارثها الأجيال حتى تبقى محفوظة من التغيير ولا تصيبها عوامل الاندثار.

المسألة الثانية: المشاركة في تخطيط الوطن وتطويره.

إذا كانت حكمة الله تعالى قد قضت أن يُستخلف الإنسان في هذه الأرض ليعمرها على هدى وبصيرة، وأن يستمتع بما فيها من الطيبات والزينة، لاسيما أنها مُسخرةٌ له بكل ما فيها من خيراتٍ ومعطيات؛ فإن حُب الإنسان لوطنه، وحرصه على المحافظة عليه واغتنام خيراته، إنما هو تحقيقٌ لمعنى الاستخلاف الذي قال فيه سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود:٦١][(١)].

وقد (جاء في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تشير إلى أهمية التخطيط في حياة المؤمنين، وضرورة إمعان النظر، وإطالة التفكير فيما حولهم، والاستفادة من سلبيات ما فات، والاستعداد للإفادة من إيجابيات ما هو آت بما يعودعليهم بالنفع في الحال والمآل)[(٢)]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨]، والغد المذكور في هذه الآية وإن كان عند المفسرين أنه يوم القيامة، إلا أنني أرى أنه يشمل الغد الدنيوي والأخروي، فيدخل فيه التخطيط لإنجاح المقاصد الدنيوية المحمودة، والعمل للآخرة، ولا نجاة في الآخرة إلا بحسن التخطيط للأعمال الدنيوية والإحسان فيها، كما يشير إليه

(١) انظر: مقال بعنوان (التربية الإسلامية وحب الوطن)، للدكتور صالح بن علي أبو عرَّاد، على الرابط الآتي بموقع "صيد الفوائد" https://www.saaid.net/Doat/arrad/٣٠.htm.

(٢) انظر: "التخطيط في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم"، للدكتور/ خيري حافظ الأغا، بدون دار طبع، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، (ص:٤٤).

كلام الإمام القرطبي وهو يعدد بعض الأعمال التي ينبغي أن يقدمها الإنسان لِغَدِه، فقال: (آثَارُ الْمَرْءِ الَّتِي تَبْقَى وَتُذْكَرُ بَعْدَ الْإِنْسَانِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ يُجَازَى عَلَيْهَا: مِنْ أَثَرٍ حَسَنٍ، كَعِلْمٍ عَلَّمُوهُ، أَوْ كِتَابٍ صَنَّفُوهُ، أَوْ حَبِيسٍ احْتَبَسُوهُ، أَوْ بِنَاءٍ بَنَوْهُ مِنْ مَسْجِدٍ أَوْ رِبَاطٍ أَوْ قَنْطَرَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ)[1]، وقوله تعالى عن خطة يوسف عليه السلام لاحتواء الأزمة الاقتصادية في مصر: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف:٤٧-٤٩]، ترشد هذه الآيات إلى أن يوسف عليه السلام قام (بتقديم خطة عملية تستغرق القُطر كله، والشعب المصري كله، أي: اعتمدت خطته على التشغيل الكامل لأمة، والبرمجة الكاملة للوقت، ثم التشغيل الكامل لطاقة كل فرد في الأمة؛ لمضاعفة الإنتاج وتقليل الاستهلاك، لأن الأزمات والظروف الاستثنائية تحتاج إلى سلوك استثنائي، ولأن سلوك الناس في الأزمات غير سلوكهم في الظروف العادية)[2]. وقد (كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم قائمة على التخطيط، فلم يكن يقدم على شيء حتى: يحدد هدفه، ويُحكم فيه التخطيط، ويُحسن فيه التدبير، وذلك بعد توكله على الله عز وجل)[3]، وإذا أردنا قاعدة جامعة للأخذ بالتخطيط فإنها تظهر جليًّا في الحديث الآتي:

(١) انظر: "الجامع لأحكام القرآن"، للإمام القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، سنة: ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، (١٢/١٥).
(٢) انظر: "التخطيط في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم"، للدكتور/ خيري حافظ الأغا، طبعة خاصة بالمؤلف، بدون رقم طبعة ولا تاريخ (ص: ١٣٤).
(٣) نفس المرجع السابق (ص: ٥٣).

- روى ابن حبان بسنده عَنْ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: «**اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**»(١).

فقوله: «**اعْقِلْهَا**» يتضمن (أخذ الأهبة، واستكمال العُدّة، ومراعاة الأسباب التي جعلها الله وسيلة للوصول إلى المسببات، وفى هذا إيماء إلى أنّ الأخذ في الأسباب ومراعاة اتباعها لا ينافى التوكل، فعلى كل مؤمن أن يتخذ لكل أمر يقدم على عمله العُدّة، ويهيئ من الأسباب ما يوصل إليه على قدر طاقته، ثم بعد ذلك يكل أمر النجاح فيه إلى الله، ويطلب منه التوفيق والمعونة في إنجازه، فقد يكون من الأسباب ما يخفى عليه أو ما لا تصل إليه يده، والمراد بذلك أن العبد يأخذ في الأسباب التي

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" في الورع والتوكل، (٢/٥١٠) رقم (٧٣١) بلفظه، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٢/٢١٥) رقم (٩٧٠)، وابن قانع في "معجم الصحابة" (٢/٢١٠)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٤/١٩٩٤ رقم ٥٠١٠)، والحاكم في "المستدرك" (٣/٧٢٢ رقم ٦٦١٦)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٢/٤٢٧) رقم (١١٥٩) بلفظ: "قَيِّدْها"، كلهم من طريق: حاتم بن إسماعيل، قال: حدثنا يعقوب بن عبد الله، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمَّري، عن أبيه، به، وذكر المناوي في "فيض القدير" (٢/ ٧ - ٨) أن الزركشي قال عن هذا الحديث: "إسناده صحيح"، وسكت عنه الحاكم، لكن قال الذهبي في "تلخيص المستدرك" والعراقي في "تخريج أحاديث إحياء علوم الدين" طبعة دار العاصمة، (٥/٢٣١٦ رقم ٣٦٨٦): (سنده جيد)، وأورده الهيثمي في "المجمع" (١٠/٣٠٣)، وقال: (رواه الطبراني من طرق، ورجال أحدها رجال الصحيح، غير يعقوب بن عبد الله بن عمرو بن أمية الضمري، وهو ثقة)، قلت: هذا الحديث مداره على يعقوب بن عمرو الضمري، وقد وثَّقه الهيثمي، لكن قال الحافظ في "التقريب" (ص: ٦٠٨): (مقبول) أي حيث توبع، ولم يتابَع هنا، ذكره ابن حِبَّان في "الثقات" (٧/٦٤٠)، وقد أخرج له ابن حِبَّان في "صحيحه" (٢/٥١٠) رقم (٧٣١) وقال: "يعقوب بن عمرو عبد الله بن أمية الضمري، من أهل الحجاز، مشهور مأمون" وقوله هذا ينبئ عن معرفته بحديثه، ولم أر من تكلم فيه بجرح، وإعمال قول ابن حبان هو الأولى، والتوسط في حكمه أعدل، فيكون حديثه فوق الحسن ودون الصحيح، وهو ما عبر عنه الإمامان الذهبي والعراقي بقولهما: (سنده جيد) والله أعلم.

جعلها الله من سننه في هذه الحياة، ويؤديها على أمثل الطرق، ثم يكل أمره إلى الله فيما لا يعلمه من أسباب لا يستطيع الوصول إلى علمها، وليس المراد أن يلقى الأمور على عواهنها، ويترك السعى والعمل ويفوض الأمر إلى الله، فما بهذا أمر الدين بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال:٦٠])[1].

ويتجلى اهتمام السُّنة النبوية بالتخطيط والتطوير لإقامة حضارة الوطن وإرساء دعائمها من خلال الحث على الجانبين الروحي والمادي اللذيْن يُشَكِّلان عماد الحضارة وأهم مقوماتها، على النحو الآتي:

١- الجانب الروحي للحضارة: حرص الإسلام على نشر العلم بين أبناء الأمة، فكانت أول آيات القرآن الكريم نزولًا: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق:١]، وأول أداة وآلة ذُكِرتْ في القرآن هي القلم، قال- تعالى-: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم:١].

ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وبدأ بتأسيس حضارة إسلامية، بدأ بنشر التعليم بين أبناء المدينة المنورة، فجعل فديةَ مَن يعرف القراءةَ مِن أسارى بدرٍ أن يُعلِّم عشرةً مِن أبناء المسلمين[2].

وكان يعلِّم وفود البلاد التي تَقدَم عليه، ويأمرُهم بالرجوع إلى بلادهم؛ حتى يعلِّموا مَن خلفهم؛ روى الإمام أحمد في "مسنده" عن مالك بن الحويرث

(١) انظر: تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م، (١١٥/٤ و١٧/١٣).

(٢) روى الإمام أحمد في "مسنده" (٩٢/٤) رقم (٢٢١٦)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة»، وأخرجه الحاكم في "مستدركه" في كتاب قسم الفيء (١٥٢/٢) رقم (٢٦٢١)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

قال: قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شببة، فلبثنا عنده نحوا من عشرين ليلة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم رحيما فقال: «**لَوْ رَجَعْتُمْ إِلَى بِلاَدِكُمْ، فَعَلَّمْتُمُوهُمْ، مُرُوهُمْ، فَلْيُصَلُّوا صَلاَةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلاَةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»(١).

٢- الجانب المادي للحضارة: دعا الإسلام أتباعه إلى حُسن استغلال الأرض ظاهرها وباطنها، من خلال زراعتَها، واستثمار ما في جوفها من خيرات.

(وقد عُنِيَ الإسلامُ بزراعة الأرض أيَّما عناية؛ لأنها مصدر قُوتِ الإنسان، وهي ضمان لاستقلاله وقوَّته، وأيما أمة لا تَزرع أرضَها، ولا تَملك قُوتَها، أمةٌ لا تملك قرارَها، ولا حرِّيتَها، ولا سيادتها؛ لذلك نظَّم الإسلام امتلاكَ الأرض، ووضع أحكامًا تُعنى بالحفاظ على هذا المقوِّم من مقومات الحضارة والتقدم)(٢).

وأكتفي بهذه الإشارة التي تُفهم من هذا الحديث؛ الذي رواه أحمد بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول اللهِ ﷺ: "**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلاَّ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا، فَلْيَفْعَلْ**"(٣).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب الأذان، باب: إذا استووا في القراءة فليؤمهم أكبرهم (١/١٣٨) رقم (٦٨٥).

(٢) انظر: خطبة بعنوان (حب الوطن)، للشيخ محمد المرسي، على الرابط الآتي بموقع "ملتقى الخطباء" https://u.pw/RYVJx٢.

(٣) أخرجه أحمد في "مسنده" (٢٠/٢٩٦) رقم (١٢٩٨١)، بلفظه، وسنده صحيح رجاله ثقات، والطيالسي في "مسنده" (٣/٥٤٥) رقم (٢١٨١)، بلفظه، وعبد بن حميد في "مسنده" (٢/٢٤٠-٢٤١ منتخب) رقم (١٢١٤)، بنحوه، والبزار في "مسنده" (١٤/١٧) رقم (٧٤٠٨)، بنحوه، والبخاري في "الأدب المفرد" في باب: اصطناع المال (ص:١٦٨) رقم (٤٧٩)، بنحوه، وقال الهيثمي في "المجمع" (٤/٦٣): (رَوَاهُ البَزَّارُ، ورجَالُهُ أَثْبات، ثقَاتٌ).

وحب الوطن الذي لا يعارض الشرع يعني الإتقان في كل الأعمال، في التعليم، وفي الزراعة، وفي الصناعة، الإتقان في أمر الدنيا وأمر الآخرة، فكل منتَج في بلاد المسلمين يجب أن يحمل علامةَ الجودة الفائقة.

وقد اهتمت السُّنة النبوية بالدعوة إلى العمل عمومًا، ولكن برز اهتمامها أكثر بجودة العمل وإتقانه، وتحسين منتَجاته بما يكفل للمجتمع تحقيق التنمية الشاملة التي يسعى إليها وصلًا إلى كفاية المواطنين وتلبية حاجياتهم بما يضمن لهم مستوىً متميزًا من العيشة الكريمة والحياة المطمئنة.

والأحاديث الواردة في الدعوة إلى إتقان وإحسان العمل كثيرة، مِن أشهرها:

– ما رواه مسلم بسنده عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**»(١)، ويُستدل من ذلك على أن الإتقان مطلوب في كل شيء يباشره الإنسان، ولا يقتصر على مواطن معينة، والإتقان والإحسان معناهما: الإحكام والإجادة للأشياء والقيام بها على وجهها، وقد أحكم الله تعالى كل شيء وأحكمه كما في قوله سبحانه: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة النمل:٨٨]، وإتقان العمل من أهم الأمور التي حفل بها القرآن الكريم والسُّنة المطهرة؛ والإسلام لا يَرضى أن يؤدَّى العمل مجرد أداء، وإنما يؤدَّى على خيرِ وجهٍ يحقق الغاية منه؛ ولهذا جاء لفظ "العمل" مقرونًا بكلمة "الصالح"، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ﴾ [الكهف:٣٠].

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، (٦/٧٢) رقم (١٩٥٥).

- وروى أبو يعلى بسنده عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن الله -تعالى- يحبُّ إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه**"(١).

ومن الأمور المهمة في تطوير الوطن: الحفاظ على الحق العام، وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس شركاءُ في أمورٍ، لا يجوز لأحد الاستئثارُ بها، أو الاعتداء عليها، كما يبينه الحديث الآتي:

- روى أبو داود بسنده عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - ثَلاَثًا، أَسْمَعُهُ يَقُولُ: «**الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلاَثٍ: فِي الْكَلإِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ**»(٢)، وإنما خص هذه الثلاثة؛ لأنها لا يكتسبها الإنسان بصناعة أو حرفة.

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في "مسنده" (٣٤٩/٧) رقم (٤٣٨٦)، والطبراني في "الأوسط" (٢٧٥/١) رقم (٨٩٧)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٢٣٢/٧) رقم (٤٩٢٩)، و(٢٣٣/٧-٢٣٤) رقم (٤٩٣١)، ثلاثتهم من طريق: مصعب بن ثابت، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، به.

وأخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" -أيضًا- (٢٣٣/٧) رقم (٤٩٣٠)، من طريق: مالك بن أنس، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، به. وقال عقبه: "وأظنه غلطًا"، يعني: روايته من طريق مالك بن أنس، ثم ساقه على الوجه الصحيح، وقال: "هذا أصح، وليس لمالك فيه أصل، والله أعلم".

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" (٩٨/٤) رقم (٦٤٦٠): "فيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة"، **قلت:** لم يلتفت الهيثمي إلى ما ذكره ابن حبان في "الثقات" (٤٧٨/٧)، فقد قال بعد ذكر ترجمته: "وقد أدخلته في الضعفاء، وهو ممن استخرت الله فيه"، وذكره في "المجروحين" (٢٨/٣-٢٩)، وقال: "منكر الحديث، ممن ينفرد بالمناكير عن المشاهير، فلما كثر ذلك منه: استحق مجانبة حديثه"، وهو لم يتابَع، وقد أخرجه ابن عدي في "الكامل" (٨٤/٨ ط الكتب العلمية)، وقال: (وهذا لم يروه عن هِشَام غير مصعب هذا، وعن مصعب: بشر بْن السري)، وذكره المناوي في "التيسير شرح الجامع الصغير" (١/ ٢٦٩)، وضعّف إسناده.

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" في أبواب الإجارة، باب: في منع الماء (٢٧٨/٣) رقم (٣٤٧٧)، =

وتجدر الإشارة إلى أن إهمال التخطيط الجيد، والتطوير المستمر للوطن قد حذرت منه السُّنة النبوية تحذيرًا بلغ الغاية في الشدة، كما يوضحه الحديث الآتي:

- روى البخاري بسنده عن مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ أنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ**[1]**، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ**»[2].

من طريق: حبان ابن زيد الشرعبي، وأبي خداش، بسند صحيح رجاله ثقات. وأخرجه الإمام أحمد في "مسنده" (١٧٤/٣٨) رقم (٢٣٠٨٢)، من طريق: أبي خداش، كلاهما: (حبان بن زيد، وأبو خداش)، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وقال الحافظ ابن حجر كما في "الدراية في تخريج أحاديث الهداية" (٢٤٦/٢) رقم (٩٨٧): "رجاله ثقات". والحديث له شواهد كثيرة.

وأخرجه الحارث ابن أبي أسامة في "مسنده" (٥٠٨/١) رقم (٤٤٩)، و(٦٥٣/٢) رقم (٦٣١)، قال: حدثنا معاوية ابن عمرو، ثنا أبو إسحاق، عن رجل من أهل الشام، عن أبي عثمان، عن أبي خداش قال: كنا في غزاة فنزل الناس منزلا فقطعوا الطريق ومدوا الحبال على الكلأ، فلما رأى ما صنعوا قال: سبحان الله لقد غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوات فسمعته يقول: «الناس شركاء في ثلاث في الماء والكلأ والنار». وفيه راوٍ مبهم، وهو كما يقول أبو حاتم الرازي: بقية، وأبو خداش لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: "علل الحديث"، لابن أبي حاتم (٤٠١/٣) رقم (٩٦٥).

(١) **الرعية**: ما يرعاه المرء ويحفظه. ويسوسه ويدبره، **واسترعاه** الرعية طلب منه رعايتها وحفظها؛ **والنصح**: تحري الأقوال والأفعال؛ التي فيها صلاح المنصوح؛ وهذا أثر الإخلاص له. انظر: "الأدب النبوي"، د. محمد عبد العزيز الخَوْلي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٣ هـ، (ص:١٩٩).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب الأحكام، باب: من استرعى رعية فلم ينصح (٦٤/٩) رقم (٧١٥٠)، واللفظ له، ومسلم في "صحيحه" في كتاب الإيمان، باب: استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار (١٢٥/١) رقم (١٤٢)، بلفظ: "ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة".

في هذا الحديث بيان أن: (الرعية أمانة في يد الراعي، يجب عليه القيام بحفظها، وحسن التعهد لها، والعمل لمصلحتها، يجب عليه أن يحوطهم بنصحه، فليعمل على سلامتهم من الأمراض، ووقايتهم من الأضرار وليقم بينهم دور العلم، ويسهّل السُّبل إليه، وليُنَمّ ثروتهم، بالجد في ترقية الصناعة، وإقامة التجارة، وتحسين الزراعة، وليعمل لمجدهم وعزتهم، وشرفهم وكرامتهم، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن من لم يحط رعيته بنصحه، ولم يحفظها بقوله وفعله بل كان فيها الحاكم الخامل، أو الراعي الغاش، من كان كذلك إذا استمر على غشه ولم يَرْعَوِ عن غيه؛ حتى بغتته المنية حرّم الله عليه الجنة، فلا يدخلها[1].

المسألة الثالثة: المحافظة على المال العام[2].

أمر الله تعالى المسلم بالمحافظة على مالِه وتنميته، وبَيّن في محكم آيات التنزيل أن المال هو قوام الحياة، وبه صلاح الْمَعايش، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء:٥]، ويرى الدكتور محمد سيد طنطاوي: (أن الخطاب في الآية الكريمة لجميع المكلفين حاكمين ومحكومين؛ ليأخذ كل من يَصلح لهذا الحكم حظَّه من الامتثال. وأن المراد بالسفهاء: كلُّ مَن لا يُحْسِن المحافظة على ماله لصغره، أو لضعف

(١) انظر: الأدب النبوي (ص:١٩٩) بتصرف.

(٢) **المال العام**: هو كل مال ثبتت عليه اليد في بلاد المسلمين، ولم يتعين مالكه، بل هو لهم جميعا، والمال العام ملك لجميع المسلمين مرصود لإقامة مصالحهم الدينية والدنيوية، وذلك كالزكاة، والفيء، وخمس الغنائم المنقولة، وخمس الخارج من الأرض، والمعادن، وخمس الركاز، والهدايا التي تقدم إلى القضاة أو عمال الدولة مما يحمل شبهة الرشوة أو المحاباة، وكذلك الضرائب الموظفة على الرعية لمصلحتهم، ومواريث من مات من المسلمين بلا وارث، والغرامات والمصادرات. انظر: "الموسوعة الفقهية الكويتية"، صادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة: (من ١٤٠٤هـ – ١٤٢٧هـ)، (٢٤٢/٨)، و(٤٠/٢١).

عقله، أو لسوء تصرفاته، سواء أكان من اليتامى أم من غيرهم؛ لأن التعميم في الخطاب وفي الألفاظ -عند عدم وجود المخصص- أَوْلَى؛ لأنه أوفر معنى، وأوسع تشريعًا.

وفي إضافة الأموال إلى جميع المخاطبين المكلَّفين من المسلمين إشارة بديعة إلى أن المال المتداوَل بينهم هو حقٌّ لمالِكِيه المختصين به في ظاهر الأمر، ولكنه عند التأمل تَلُوح فيه حقوقُ الأمة جمعاء؛ لأنَّ وَضْعَه في المواضع التي أمر الله بها منفعةٌ للأمة كلها، وفي وَضْعِه في المواضع التي نهى الله عنها مَضَرَّةٌ بالأمة كلها، وتعاليم الإسلام التي تجعل المسلمين جميعًا أمة واحدة متكافلة متراحمة تَعتبر مصلحةَ كلِّ فردٍ من أفرادها عيْنَ مصلحة الآخرين.

وقال بعض العلماء: ولنقف عند قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء:٥]؛ لنعلم ما يوحى به من تكافل الأمة ومسئولية بعضها عن بعض، ومن أن المال الذي في يد بعض الأفراد «قوام للجميع» ينتفعون به في المشروعات العامة، ويفرجون به أزماتهم وضائقاتهم الخاصة عن طريق الزكاة، وعن طريق التعاون وتبادل المنافع، وهذا هو الوضع المالى في نظر الشريعة الإسلامية، فليس لأحد أن يقول: مالي مالي، هو مالي وحدي لا ينتفع به سواي، ليس لأحد أن يقول هذا أو ذاك؛ فالمال مال الجميع، والمال مال الله، ينتفع به الجميع عن الطريق الذي شرعه الله في سد الحاجات ودفع الملمات، وهو ملك لصاحبه يتصرف فيه لا كما يشاء ويهوى، بل كما رسم الله وبَيَّن في كتابه، حتى إذا ما أخل بذلك فأسرف وبَذَّر أو ضَنَّ وقَتَّر حُجِر عليه)[1].

(١) انظر: "التفسير الوسيط للقرآن الكريم"، د. محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م، (٣/٤١، و٤٣)، وقارن بـ: "تحرير المعنى السديد وتنوير =

وإذا كان الله تعالى قد أمر الأفراد بالمحافظة على أموالهم الخاصة، فإن صيانة المال العام والمحافظة عليه أشد وأعظم؛ لأن نفعه أعم، ويعود على جميع أفراد الأمة، وتَعَلُّقه بمصلحة البلد كلها، ولكثرة الحقوق المتعلقة به، وتَعَدُّد الذِّمم المالِكة له، فمن اخذ منه شيئًا بغير حقٍّ فقد اعتدى على جميع أفراد البلد، بالإضافة إلى أن الاعتداء على المال العام يؤدي إلى وجود الأزمات المالية المضرة بأصول الدولة واقتصادها، وهو ما يعرضها للخطر الداهم وتَسلُّط الأعداء، وقد حذرت السُّنة النبوية من الاعتداء على المال العام في أحاديث كثيرة، نذكر منها ما يأتي:

١- روى البخاري بسنده عَنْ خَوْلَةَ الأَنْصَارِيَّةِ رضي الله عنها، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ**[(١)] **فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(٢)]، وقد بَوَّب العلماء على هذا الحديث بعناوين متعددة، منها ما ورد في ترتيب "صحيح ابن حبان": (ذكر إيجاب النار لِمَنْ تَقَلَّدَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ وَانْبَسَطَ فِي أموالهم بغير إذنهم)[(٣)]. وفي هذا الحديث من الفوائد: (أَنَّ مَنْ أَخَذَ مِنَ الْغَنَائِمِ شَيْئًا بِغَيْرِ قَسْمِ الْإِمَامِ كَانَ عَاصِيًا، وَفِيهِ رَدْعُ الْوُلَاةِ أَنْ يَأْخُذُوا مِنَ الْمَالِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقه، أَو يمنعوه من

=

العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ، (٤/٢٣٤-٢٣٥).

(١) **التخوّض في مال الله**: هو التصرف في مال المسلمين بالباطل وبِمَا لا يَرْضاه اللّه. انظر: "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (١/٦٤٥)، و"فتح الباري شرح صحيح البخاري"، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ (٦/٢١٩).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب فرض الخمس، باب: قول الله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال:٤١] (٤/٨٥) رقم (٣١١٨).

(٣) انظر: "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، (١٠/٣٧٠).

أَهله)[1].

ومن صور الاعتداء على المال العام ما يسمَّى: الغُلول[2]، وقد ورد في الوعيد الشديد في محكم آيات التنزيل، فقال سبحانه: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾[آل عمران:١٦١]. و(قد أجمع المسلمون على تغليظ تحريم الغلول، وأنه من الكبائر)[3]. كما أن إضاعة المال العام بأي وجهٍ من الوجوه أمْرٌ كرهه الشرع وحذر منه، كما روى الشيخان بسنديهما عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ**"[4].

وقد حذرت السُّنة تحذيرًا شديدًا من الغلول والاعتداء على المال العام، وبيَّنَتْ عاقبة الغَالِّ الشنيعة، كما في الصحيحين بسنديهما من حديث أبي هريرة قال: "خرجْنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم "خَيْبَر"، فلم نَغْنَمْ ذهبًا ولا فِضَّة،

(١) "فتح الباري" لابن حجر (٦/٢١٩).

(٢) **الغلول** في اللغة: الخيانة، وفي الاصطلاح: أخذ شيء من الغنيمة قبل القسمة ولو قل، أو: الخيانة من الغنيمة قبل حوزها، أو: الخيانة من المغنم، لأن صاحبه يغله أي: يخفيه في متاعه، أو: هو السرقة من المغنم. وقال النووي: وأصل الغلول الخيانة مطلقًا، وغلب استعماله خاصة في الخيانة في الغنيمة. ويدخل في المعنى العام للغلول: الأخذ من مال الدولة بغير حقٍّ. انظر: "الموسوعة الفقهية الكويتية" (٣١/٢٧٢)، و"شرح صحيح مسلم" للإمام النووي، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، سنة: ١٣٩٢هـ، (٤/٢١٦).

(٣) "شرح صحيح مسلم" للإمام النووي (١٢/٢١٧).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب الاستقراض باب: ما ينهى عن إضاعة المال (٣/١٢٠) رقم (٢٤٠٨)، ومسلم في "صحيحه" كتاب الأقضية، باب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (٣/١٣٤١) رقم (٥٩٣).

إلاَّ الأموال والثياب والمتاع، فأهْدَى رجلٌ من بني الضُّبَيْب يُقال له: رِفَاعة بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلامًا يُقال له: "مِدْعَم" فوجَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي القُرى، حتى إذا كان بوادي القُرى، بينما "مِدْعَم" يحطُّ رحْلًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سَهْمٌ عائِر فقَتَله، فقال الناس: هنيئًا له الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كلاَّ والذي نفسي بيده، إنَّ الشَّمْلَة التي أخَذَها يومَ خَيْبَرمن المغانم لَم تُصِبْها المقاسِمُ، لتَشْتَعِلُ عليه نارًا**»، فلمَّا سَمِع ذلك الناسُ، جاء رجلٌ بشِرَاكٍ أو شِرَاكين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «**شِرَاكٌ من نارٍ – أو: شِرَاكان من نار– الشَّمْلَة التي غَلَّها لتَشتعِلُ عليها نارًا**»[1]. فقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث عِظَمَ أمر الغُلُول والسرقة من الغنيمة، وما في معناها من أنواع المال العام للدولة الذي يَنبغي أن يُحفَظَ من قِبَل جميع أفرادها، وزاد الأمر تخويفًا بتفصيل بعض صور العقوبة للمعتدين على هذا المال العام، فقد روى البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم فذَكَرَ الغُلول، فعظَّمه وعظَّمَ أمرَه، قال: «**لا ألفِيَنَّ**[2] **أحدَكم يومَ القيامة على رَقبته شاة لها ثُغاء**[3]**، على رَقبته فرس له حَمْحَمة**[4]**، يقول: يا رسول الله، أغِثْني،**

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب الأيمان والنذور، باب: هل يدخل في الأيمان والنذور الأرض، والغنم، والزروع، والأمتعة (١٤٣/٨) رقم (٦٧٠٧)، واللفظ له، ومسلم في "صحيحه" في كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم الغلول، وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (١٠٨/١) رقم (١١٥)، بنحوه.

(٢) **لا أُلفِيَنَّ**: لا أَجِدَنَّ. انظر: "شرح النووي على صحيح مسلم" (٢١٦/١٢).

(٣) **ثُغاء**: صوت الغَنم. انظر: "فتح الباري"، لابن حجر (٩٥/١).

(٤) **حَمْحَمة**: صوت الفرس إذا طَلَب العَلَف. انظر: "الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري"، لشمس الدين الكرماني، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م، (٦٤/١٣).

فأقول: لا أملِك لك شيئًا[(١)]**؛ قد أبْلَغْتُك، وعلى رَقَبته بعيرٌ له رُغاء**[(٢)]**، يقول: يا رسول الله، أغِثْني، فأقول: لا أملِك لك شيئًا؛ قد أبلغتُك، وعلى رَقَبته صامتٌ**[(٣)]**، فيقول: يا رسول الله، أغِثْني، فأقول: لا أملِك لك شيئًا؛ قد أبلغتُك، أو على رَقَبته رِقَاعٌ**[(٤)] **تَخْفِق**[(٥)]**، فيقول: يا رسول الله، أغِثْني، فأقول: لا أملِك لك شيئًا؛ قد أبلغتُك**»[(٦)].

ويجب على وليِّ الأمر أنْ يأخذَ على أيدي المعتدين على المال سواء أكانوا من القائمين عليه أم من غيرهم، وقد بيَّنَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة ما يجبُ على ولاة أمور المسلمين في الأموال العامة: "وليس لولاة الأموال أنْ يَقْسموها بحسب أهوائهم، كما يَقسم المالك مِلْكَه، فإنَّما هم أُمَناء ونوَّاب ووُكلاء، ليسوا مُلاَّكًا؛ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إني والله، لا أُعطي ولا أمنعُ أحدًا، وإنما أنا قاسمٌ**

(١) **لا أملك لك شيئًا**: من المغفرة؛ لأنَّ الشفاعة أمْرُها إلى الله تعالى. انظر: "فتح الباري"، لابن حجر (١٨٦/٦).

(٢) **رُغاء**: صوت البعير. انظر: "كشف المشكل من حديث الصحيحين"، لابن الجوزي (٤٦٩/٣).

(٣) **صامت**: الذهب والفضة. انظر: "اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح"، لشمس الدين البِرْماوي، تحقيق: بإشراف نور الدين طالب، ط دار النوادر – سوريا، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م، (١٢٦/٩).

(٤) **رِقَاع**: جمع رُقْعَة، وهي الْخِرْقة. انظر: "اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح"، للبرماوي (١٢٦/٩).

(٥) **تَخْفِق**: تتحرَّك وتضطرب. انظر: نفس المصدر السابق (١٢٦/٩).

(٦) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب الجهاد والسير، باب: الغلول (٧٤/٤) رقم (٣٠٧٣)، ومسلم في "صحيحه" في كتاب الإمارة، باب: غلظ تحريم الغلول (١٤٦١/٣) رقم (١٨٣١).

أضَعُ حيث أمرت»[(١)]"، ثم قال: "فهذا رسول ربِّ العالمين، قد أخْبَرَ أنه ليس المَنْعُ والعطاء بإرادته واختياره، كما يَفعل ذلك المالك الذي أُبيح له التصرُّف في ماله، ، وكما يفعل ذلك الملوك الذين يُعطُون مَن أَحبُّوا، ويمنعون من أبغضوا، وإنما هو عبْدُ الله، يَقسم المال بأمره، فيَضَعُه حيث أمره الله تعالى"[(٢)].

وهذا تحذير نبوي بالِغٌ لكل من تُسَوِّل له نفسه تناول شيء من المال العام دون إذن ممن له الأمر فيه، فقد روى مسلم في "صحيحه" بسنده عَنْ عَدِيِّ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا، فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ الْأَنْصَارِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكَ، قَالَ: «وَمَا لَكَ؟» قَالَ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «**وَأَنَا أَقُولُهُ الْآنَ، مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَلْيَجِئْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى**»[(٣)].

وروى الشيخان بسنديهما عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، يُدْعَى ابْنَ اللُّتْبِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ، قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا**» ثُمَّ خَطَبَنَا،

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب فرْض الخُمُس، باب: قول الله تعالى: ﴿**فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**﴾ [الأنفال:٤١]، (٨٥/٤) رقم (٣١١٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: "**ما أعطيكم ولا أمنعكم، إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت**".

(٢) انظر: "السياسة الشرعيَّة"، لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، (ص:٢٦).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" في كتاب الإمارة، باب: تحريم هدايا العمال (١٤٦٥/٣) رقم (١٨٣٣).

فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى العَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللَّهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلاَ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ، وَاللَّهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلَأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ**»، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ، يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ**»[1].

هذا وإن المحافظة على المال العام للدولة يشمل أمرين: أحدهما، صيانته من الضياع أو القسمة الجائرة أو الأخذ منه بغير وجهِ حقٍّ، أو منعه عن مستحقيه. والآخر: تنميته واستثماره فيما أحل الله؛ لتحقيق الرخاء لجميع أفراد الدولة. ويدل على هذا الأمر الأخير ما رواه البخاري بسنده عَن أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: لَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، قَالَ: «لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنَّ حِرْفَتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مَئُونَةِ أَهْلِي، وَشُغِلْتُ بِأَمْرِ المسْلِمِينَ، فَسَيَأْكُلُ آلُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ هَذَا المالِ، وَيَحْتَرِفُ[2]

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب الحيل، باب: احتيال العامل ليهدى له (٢٨/٩) رقم (٦٩٧٩) واللفظ له، ومسلم في "صحيحه" في كتاب الإمارة، باب: تحريم هدايا العمال (١٤٦٣/٣) رقم (١٨٣٢)، بنحوه.

(٢) **الحِرْفة**: الصِّناعة وجهَة الكَسْب، وَهَى مَا كَانَ يَشْتَغِلُ بِهِ مِنَ التِّجَارَةِ قَبْلَ الْخِلَافَةِ، يقال: هو يَحتَرِف لِعيالِه ويَحْرُف: أي يكْتَسب. انظر: "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (٩٣٨/١)، و"مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، للملا علي القاري، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، (٢٤٣٤/٦).

لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ»[1]، (أراد باحْتِرَافِه للمسلمين: نَظَرَه في أمورهم، وتَثْمِير مكاسِبِهم وأرْزاقِهم)[2].

المسألة الرابعة: الدفاع عن الوطن ومواجهة أعدائه.

إن من مظاهر حب الوطن أن يعمل الإنسان ما استطاع من أجل حماية مكاسب وطنه، وصيانة خيراته ومقدراته، ويكون عينًا حارسة له من كل عدو ومتربص في الداخل أو الخارج، لأن الانتماء إلى الوطن ليس كلمة تقال، ولا شعارًا يُرَدَّد، إنما هو تضحية وفداء وواجب مقدَّس يتمثل في الدفاع عنه، لا يجوز التخلف عنه بغير عذر مقبول، ومن المعلوم أن كل من ينتمي إلى شيء فإنه يحبه ويواليه وينصره ويعادي من عاداه، ويسعى حثيثًا لاستقراره، واكتمال أمنه، وحياطته بالرعاية والحفاظ عليه من كل سوء، وتَجْنِيبِه الأسباب المفضية إلى الاضطراب والفوضى والفساد.

إن الدفاع عن الأوطان أن تُستلَب، والأعراض أن تُنتهك، قد امتدحته الشريعة الإسلامية، وأثنت على أهله، كما نلمح ذلك ضمن المعاني التي يحتملها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى:٣٩]، (أي: أن من صفات -المؤمنين- أنهم إذا بغى عليهم باغ، أو ظلمهم ظالم، أو اعتدى على كرامتهم أو على دينهم معتد، فإنهم لا يخضعون له، ولا يذلون أمامه، وإنما هم ينتصرون لدينهم ولكرامتهم، بأن يقابلوا بغيه وعدوانه، بما يردعهويجعله يخشى إصابتهم بأذى)[3].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب البيوع، باب: كسب الرجل وعمله يده (٥٧/٣) رقم (٢٠٧٠).
(٢) انظر: "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (٩٣٨/١).
(٣) انظر: "التفسير الوسيط" لطنطاوي (٤٢/١٣).

وقد ألمح القرآن الكريم إلى أن الدفاع عن الوطن غريزة في الأمم كلها بغض النظر عن دينهم وعقيدتهم، فما بالنا إذا كان ذلك مبنيًّا على أساس الإيمان والتقرب إلى الله تعالى؟! قال سبحانه في معرض الحديث عن قصة سليمان – عليه السلام – مع مملكة سبأ حين أرسل إليهم بكتابه أن يأتوه مسلمين غير متعالِين: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل:٣٣]، (هذا الجواب تصريح بأنهم مستعدون للحرب للدفاع عن مُلْكِهم، وتعريض بأنهم يميلون إلى الدفع بالقوة إن أراد أن يُكرههم على الدخول تحت طاعته؛ لأنهم حملوا ما تضمنه كتابه على ما قد يفضي إلى هذا. ومع إظهار هذا الرأي فوّضوا الأمر إلى الملكة؛ لثقتهم بأصالة رأيها لتنظر ما تأمرهم فيمتثلونه)[1].

ومن أجل التحريض على حماية الوطن والدفاع عنه، فقد عَظَّمت السُّنة النبوية الجزاء لمن بات ساهرًا على رعاية أمن وطنه، مرابطًا على ثغوره ليكسر مطامع الأعداء في التسلل إليه، ويصدهم عن تحقيق مآربهم بالاعتداء عليه، وهذا ما نجده في أحاديث شريفة كثيرة نختار منها ما يأتي:

١– روى البخاري بسنده عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ الله خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا،**

(١) انظر: "التحرير والتنوير" لابن عاشور (١٩/٢٦٤ – ٢٦٥).

وَالرَّوْحَةُ(١) **يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الغَدْوَةُ**(٢) **خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**»(٣).

٢- وروى الترمذي بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»(٤).

فهذه الأحاديث الشريفة فيها بيان الفضل الكبير والمنزلة العالية لرجال المخابرات والأمن ومن كان على شاكلتهم من العاكفين على حماية الوطن وأهلِه ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا، وقد قرر الفقهاء أن حراسة الوطن أفضل من صلاة التطوع، فقد قَالَ الإمام أَبُو يُوسُفَ القاضي الحنفي: (إِذَا احْتَاجَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى حَرَسٍ: فَالْحَرْسُ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ، فَإِذَا كَانَ فِي الْحَرَسِ مَنْ يَكْفِيهِ وَيَسْتَغْنِي بِهِ؛ فَالصَّلَاة أفضل؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَحْرُسُ أَيْضًا وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ؛ حَتَّى لَا يَغْفَلَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، فَيَجْمَعُ أَجْرَهُمَا جَمِيعًا أَفْضَلُ)(٥).

---

(١) **الرَّوْحَةُ** -بفتح الراء، وسكون الواو-: المرة الواحدة من الرّوَاح، وهو الخروج في أيّ وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها. انظر: "فتح الباري"، لابن حجر (١٤/٦).

(٢) **الْغَدْوَةُ** -بفتح الغين المعجمة، وسكون الدال المهملة-: المرّة الواحدة من الغدو، وهو الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه. انظر: نفس المصدر السابق (١٤/٦).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب الجهاد والسير، باب: فضل رباط يوم في سبيل الله (٣٥/٤) رقم (٢٨٩٢)، وزاد فيه: "وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها".

(٤) أخرجه الترمذي في "جامعه" في فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله (١٧٥/٤) رقم (١٦٣٩)، وقال: "حسن غريب".

(٥) انظر: "الرد على سير الأوزاعي"، لأبي يوسف القاضي (ص: ٩٠)، صححه وعلق عليه: أبو الوفا الأفغاني، عني بنشره: لجنة إحياء المعارف النعمانية - بحيدر آباد، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

٣- ومن عظمة الإسلام أنه عدَّ الموت دفاعًا عن النفس والعرض والمال والوطن شهادةً في سبيل الله تعالى تستوجب الفوز بالجنة إذا كانت النية خالصة لوجه الله تعالى، فقد روى الترمذي بسنده عن سعيد بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مالِهِ فهوَ شَهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فهوَ شَهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فهوَ شَهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دُونَ أهلِهِ فهوَ شَهيدٌ**»(١). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الرَسُولِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «**فَلا تُعْطِهِ مَالَكَ**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «**قَاتِلْهُ**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «**فَأَنْتَ شَهِيدٌ**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**»(٢).

٤- وهذا عمر رضي الله عنه يقرر في الناس أهمية حراسة الوطن، والدفاع عنه، كما روى ابن عساكر بسنده عن أَرْطَأَةَ بن المنْذرِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ لِجُلَسَائِهِ: "**أَيُّ النَّاسِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟**"، فَجَعلُوا يَذْكُرونَ لَه الصَّوْمَ والصَّلاةَ، وَيَقولونَ: "فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ"، فَقَالَ: "**أَلاَ أُخْبِرُكُم بِأَعْظَمِ النَّاسِ أَجْرًا مِمَّنْ ذكَرْتُم وَمِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟**"، قَالُوا: "بَلَى"، قَالَ: "**رُوَيْجِلٌ بالشَّامِ، آخذٌ بلِجَامِ فَرسه يكلأ مِن وَرَاء بَيْضَةِ الْمُسْلِمِينَ**(٣)**، لاَ يَدْرِى: أَسَبُعٌ يَفْتَرِسُه؟ أَمْ هَامةٌ تَلدَغُه؟ أَمْ عَدُوٌّ يَغْشَاهُ؟ فَذَلِكَ أَعْظَمُ أَجْرًا مِمَّنْ ذَكَرْتُمْ ومِن أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ**"(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" في الديات، باب: ما جاء في من قتل دون ماله فهو شهيد (٣٠/٤) رقم (١٤٢١)، وقال: "حسن صحيح".

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" في كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق، كان القاصد مهدر الدم في حقه، وإن قتل كان في النار، وأن من قتل دون ماله فهو شهيد (١٢٤/١) رقم (١٤٠).

(٣) **بَيْضَةِ الْمُسْلِمِينَ**: أَيْ مجْتَمعهُم ومَوْضِع سُلطانهم، ومُسْتَقَرَّ دَعْوتهم. وبَيْضَة الدَّار: وسَطُها ومُعْظَمُها. انظر: "النهاية في غريب الحديث والأثر"، لابن الأثير (١٧٢/١).

(٤) أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق"، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، (٢٨٣/١).

ومن الصور الرائعة في المسارعة إلى استطلاع الحوادث التي قد تضر بأمن الوطن: أن أهل المدينة فزعوا ليلةً من الليالي على صوتٍ مستغيثٍ، فانطلقوا قِبَل الصوت فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم واستبرأ الخبر، وعاد مستقبلًا لهم يطمئنهم، كما روى البخاري بسنده عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَدْ سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**لَنْ تُرَاعُوا، لَنْ تُرَاعُوا**» وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ، فِي عُنُقِهِ سَيْفٌ، فَقَالَ: «**لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا. أَوْ: إِنَّهُ لَبَحْرٌ**»(١). وفي هذا الحديث دلالة على أن الطابع العام لأهل المدينة أنهم يحبونها ويحرسونها ومن فيها، ويغيثون المستغيث، ويهبون لنصرته، وفاءً بحق هذا البلد الطيب وحق ساكنيه، وهذا نلمحه من خروجهم جميعًا نحو الصوت.

والدفاع عن الوطن إنما ينصرف بداهة إلى أعداء الخارج، لكن الدفاع عن الوطن ضد أعداء الداخل لا يقل أهمية عنه بل قد يفوقه جدًّا، مثل محاربة أهل التطرف والإرهاب والمخدرات، الذين تتضمّن مخططاتهم مفاسدَ كبيرة، وشرورًا عظيمة؛ مَن قتل الأنفس المسلمة بغير حق، وحمل السّلاح على المسلمين، ومفارقة الجماعة وشقّ عصا الطاعة، والاعتداء على رجال الأمن، وترويع الآمنين وإشاعة الهلَعَ والفزع، مما ينذر بفتنةٍ داخلية، تُدمَّر فيها الطاقات، وتهدَر فيها المكتسبات، وتُشتَّت الجهود، وتُعطَّل مشاريع الخير والبر؛ ولذا يجب على جميع الأفراد رصُّ صفوفهم، والوقوفُ في خندقٍ واحد أمام صانعي الإرهاب والتطرف، ومُرَوِّجي المخدرات، والحرصُ على تقديم المعلومات عنهم إلى أجهزة الأمن المعنية؛ وأن يضطلع كل واحد بدوره في مواجهة هؤلاء المنحرفين من أجل إنقاذ الوطن بأسْرِه من مخططات الدمار التي تحاك ضده، ولعله يحق لنا القول: إنَّ كلَّ مَن سَكَت عن واحدٍ من المخربين للأوطان أو آوَاه وتَستَّر عليه وسانده، ملعون، ولا خير فيه لوطنه، وهذا ما نلمحه من الحديث الذي رواه مسلم بسنده أَبو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**الْمَدِينَةُ حَرَمٌ؛ فَمَنْ**

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل (١٣/٨) رقم (٦٠٣٣)، من حديث أنس رضي الله عنه.

أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا(١)**، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلٌوَلَا صَرْفٌ**(٢)**»**(٣).

ولا يخفى أن الدفاع عن الوطن كما يكون بالنفْس والسِّنَان فإن يكون كذلك بالمال واللسان، ويتفاوت الناس في ذلك تبعًا لما منحهم الله تعالى من الطاقات والقدرات وأسباب القوة، ويوضح لنا ذلك بجلاء الحديثُ الذي رواه النسائي بسنده عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**»(٤).

---

(١) **مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا**: أي: أتى إثْمًا، أو آوى من أتاه وحماه وضمه إليه. انظر: "إكمال المعلم بفوائد مسلم"، للقاضي عياض (٤/٤٨٦).

(٢) **عَدْلٌ وَلَا صَرْفٌ**: اختلف في تفسير ذلك، فقيل: الصرف: الفريضة، والعدل: التطوع. وقال الحسن: الصرف: النافلة، والعدل: الفريضة. وقال الأصمعي: الصرف: التوبة، والعدل: الفدية. وقال يونس: الصرف: الاكتساب، والعدل: الفدية. وقال أبو عبيدة: العدل: الحيلة، وقال قوم: العدل: المثل، وقيل: الصرف: الدية، والعدل: الزيادة، وروي عن الحسن في معنى الصرف هنا التصرف في العمل، فيحتمل أن يكون ما أوعد به من ترك قبول التوبة على ما فسّر به الصرف، وهي معرضة لجميع العاصين في قبوله الطاعات، ولا يحبطها إلا الكفر على ما فسر به الصرف. والعدل إما أن يكون فعل ذلك مستحلًا، فأحبط الكفر أعماله، ولا يصح توبته إلا برجوعه إلى الإسلام، لا بإقلاعه عن ذلك الذنب وحده. وقيل: المراد ها هنا: لا يقبل توبته في الآخرة، وهو في الحديث مفسر: "**لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا**"، أي: لا يعف عن ذنبه هذا في الآخرة، واعترافه بخطئه فيه، إن لم يتب منه في الدنيا، وأما توبة الدنيا فمقبولة إن شاء الله من كل ذنب. انظر: "إكمال المعلم بفوائد مسلم"، للقاضي عياض، تحقيق: الدكتور/ يحيى إسماعيل، ط دار الوفاء – مصر، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ، (٤/٤٨٧).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" في كتاب الحج، باب: فضل المدينة، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها (٢/٩٩٩) رقم (١٣٧١).

(٤) أخرجه النسائي في "سننه" في كتاب الجهاد، باب: وجوب الجهاد (٦/٧) رقم (٣٠٩٦)، وفي "السنن الكبرى" في كتاب الجهاد، باب: وجوب الجهاد (٤/٢٩٦) رقم (٤٢٨٩)، واللفظ

=

فقوله: («**بِأَمْوَالِكُمْ**» أي بتجهيز الغزاة، «**وَأَيْدِيكُمْ**» أي بمباشرة القتل، «**وَأَلْسِنَتِكُم**» أي بالدفاع عن الإسلام بذكر الحجج القاطعة، والبراهين الساطعة، ودحض حجج الكفار، وبالدعوة إليه بالحكمة، والموعظة الحسنة، وبالمجادلة بالحسنى، وحضّ الناس على الجهاد، وترغيبهم فيه، وبيان فضائله لهم)[1].

وقال المنذريّ: (يحتمل أن يريد بقوله: «**وَأَلْسِنَتِكُم**» الهجاء، ويؤيّده قوله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه، لما أنكر على عبد الله بن رواحة إنشاده بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء شعره في قريش، فقال صلى الله عليه وسلم: «**خَلِّ عنه يا عمر، فلهو أسرع فيهم مِنْ نَضْحِ النَّبْل**»[2])[3].

له، وأخرجه أبو داود في "سننه" في كتاب الجهاد، باب: كراهية ترك الغزو (١٠/٣) رقم (٢٥٠٤)، وأحمد في "مسنده" (٢٧٢/١٩) رقم (١٢٢٤٦)، و(٢٣٢/٢١) رقم (١٣٦٣٨)، والدارمي في "سننه" في كتاب الجهاد، باب: في جهاد المشركين باللسان واليد (١٥٧٧/٣) رقم (٢٤٧٥)، والحاكم في "المستدرك" (٩١/٢ رقم ٢٤٢٧)، أربعتهم بلفظ: "جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم، وألسنتكم"، وأحمد في "مسنده" (٢٦/٢٠) رقم (١٢٥٥٥)، بلفظ: "جاهدوا المشركين بألسنتكم، وأنفسكم، وأموالكم، وأيديكم"، وسنده صحيح رجاله ثقات، وقال الحاكم: (هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ) وأقره الذهبي.

(١) انظر: "ذخيرة العقبى في شرح المجتبى"، لمحمد بن علي آدم الإثيوبي، ط دار آل بروم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، (٩٩/٢٦).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" في الأدب، باب: ما جاء في إنشاد الشعر (١٣٩/٥) رقم (٢٨٤٧)، وقال: "حسن صحيح"، والنسائي في "سننه" في كتاب مناسك الحج، باب: إنشاد الشعر في الحرم والمشي بين يدي الإمام (٢٠٢/٥) رقم (٢٨٧٣)، وفي "السنن الكبرى"، في كتاب المناسك، باب: استقبال الحاج (١٠٧/٤) رقم (٣٨٦٢)، بنحوه.

(٣) انظر: "مختصر سنن أبي داود"، للإمام المنذري، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، ط مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م ، (٣٦٦/٣-٣٦٧).

ومن الأمثلة الراقية على بذل الأموال دفاعًا عن الدين والوطن ما نلمحه – على سبيل المثال– في موقف ثلاثة من الصحابة الأجلاء، وهم: أبو بكر الصِّديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم حين طلب النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه التصدق من أجل إعداد الجيش وتجهيزه لمواجهة الأعداء، **فأما موقف أبي بكر وعمر** رضي الله عنهما فيتجلى لنا فيما رواه أبو داود بسنده عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قال: " أَمَرَنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**»، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ الله وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: "لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا"(١).

وأما موقف عثمان رضي الله عنه: فيظهر فيما رواه الحاكم بسنده عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ رضي الله عنه إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِأَلْفِ دِينَارٍ حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ، فَفَرَّغَهَا عُثْمَانُ فِي حِجْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: فَجَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُقَلِّبُهَا وَيَقُولُ: «**مَا ضَرَّ عُثْمَانُ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ**»(٢).

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" في كتاب الزكاة، باب: في الرخصة في إخراج الرجل من ماله (١٢٩/٢) رقم (١٦٧٨)، واللفظ له، والترمذي في "جامعه" في المناقب، باب: مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه واسمه: عبد الله بن عثمان، ولقبه: عتيق (٦١٤/٥) رقم (٣٦٧٥)، بنحوه، وقال: "حسن صحيح"، والدارمي في "سننه"، في كتاب الزكاة، باب: الرجل يتصدق بجميع ما عنده (١٠٣٣/٢) رقم (١٧٠١).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" في المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، وله =

وأما الدفاع عن الوطن باللسان –وهو ما يمثل اليوم الإعلام الوطني–: فإن له صورًا كثيرة نختار منها ما يدل على ذكر محاسن الوطن، وتعداد مآثر أهله ومفاخرهم، ورَدِّ شبهات الأعداء ودفْعِ ذمِّهم له، ونلمح ذلك جليًّا في موقفين –على سبيل المثال–:

الموقف الأول: أن مجتمع المدينة المنورة قد آذاهم هجاء المشركين لهم ولوطنهم ولدينهم ونبيهم صلى الله عليه وسلم، فشَكَوْا ذلك إليه عليه الصلاة والسلام، فحثهم على مواجهة أعدائهم بمثل ما اعتدوا به عليهم، دفاعًا عن العِرض والوطن، ويشهد لذلك الموقف: ما رواه أحمد بسنده عَنْ عَمَّار بن ياسر رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا هَجَانَا الْمُشْرِكُونَ، شَكَوْنَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: «**قُولُوا لَهُمْ كَمَا يَقُولُونَ لَكُمْ**»، قَالَ: "فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نُعَلِّمُهُ[1] إِمَاءَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ"[2]، ونلمح من

=

كنيتان، يقال: أبو عمرو، وأبو عبد الله (٦٢٦/٥) رقم (٣٧٠١)، بنحوه، وقال: "حسن غريب"، وأحمد في "مسنده" (٢٣١/٣٤-٢٣٢) رقم (٢٠٦٣٠)، بنحوه، والحاكم في "مستدركه" في كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب: ذكر مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه (١١٠/٣) رقم (٤٥٥٣)، واللفظ له، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

(١) قال السندي: "قوله: نعلمه، من التعليم، أي: هجاء المشركين، وبالجملة فهجاء الأشرار – سيما في المقابلة– جائز". انظر: "حاشية السندي على مسند أحمد" ط الرسالة (٤٣/١١) رقم (٧٨٨٥).

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (٢٤٦/٣٠) رقم (١٨٣١٤)، وابن أبي شيبة في "مسنده" (٢٩٢/١) رقم (٤٣٩)، كلاهما من طريق: شريك، عن محمد بن عبد الله المرادي، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، قال: قال عمار، فذكره، واللفظ لأحمد، وفيه: شريك، وهو ابن عبد الله النخعي، وهو مختلف فيه مع غلطه وسوء حفظه، وهو أعلم بحديث الكوفيين من سفيان الثوري كما قاله ابن المبارك. انظر: "الكامل في ضعفاء الرجال"، لابن عدي (١٣/٥)، وشيخه هنا هو محمد بن عبد الله المرادي الكوفي، وقد أفاد ابن عدي –بعد تمحيص وسرد وتدقيق لبعض مروياته– أن "الغالب على حديثه الصحة والاستواء، والذي يقع في حديثه من

=

هذا الموقف أن الغيرة على الوطن وأهله وحُرماته كان حالةً وطنيةً عامةً تشمل الكبار والصغار والرجال والنساء، وهذا ناتج عن التربية الراسخة المتعمة في أعماق النفوس لهذا المجتمع الفاضل الذي قَلَّ نظيره.

الموقف الثاني: أمر النبي صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت أن يواجه المشركين بنَظْمِ القصائد التي تبين محامد المسلمين ومجتمعهم، وتفضح سوءات المشركين ومعاييهم، وتظهر كذبهم وافتراءهم، وتدحض ذمَّهم وشبهاتهم، كما روى الشيخان بسنديهما عَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِحَسَّانَ: «**اهْجُهُمْ** –أَوْ قَالَ: **هَاجِهِمْ**[1]– **وَجِبْرِيلُ مَعَكَ**[2]»[3]، وفي رواية: «**أَجِبْ عَنِّي،**

النكرة إنما أتي فيه من سوء حفظه، لا أنه يتعمد في الحديث شيئًا مما يستحق أن ينسب فيه إلى شيء من الضعف". انظر: "الكامل في ضعفاء الرجال" (٣٥/٥)، وعليه فالحديث يحسن بشواهده، والتي منها: البَرَاءِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِحَسَّانَ: «**اهْجُهُمْ** –أَوْ قَالَ: **هَاجِهِمْ– وَجِبْرِيلُ مَعَكَ**»، وفي رواية: «**أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**»، وسوف يأتي تخريجه.

(١) (**اهْجُهُمْ**): أمْر من هجا يهجو هَجْوًا، وهو نقيض المدح، وقال ابن الجوزيّ في "غريب الحديث"(٤٩١/٢): "الهجاء ذِكر المعايب". (**أَوْ هَاجِهِمْ**): شكّ من الراوي، من المهاجاة، ومعناه: جازهم بهجوهم، بالشك، قاله العيني في "عمدة القاري" (١٣٤/١٥)، وقاله في "الفتح" (٤٥٦/١١). والثاني أخصّ من الأول؛ يعني: أن المهاجاة أخصّ من الهجو؛ لأنه بمقابلة هجوهم، بخلاف الهجو، فهو أعمّ. انظر: "البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، لمحمد علي آدم الإثيوبي، ط دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٢٦هـ – ١٤٣٦هـ، (٥٢٢/٣٩).

(٢) **وجبريل معك**؛ أي: بالإلهام والتذكير والمعونة. انظر: "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم"، لأبي العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين مستو وآخرين، ط دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق – بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، (٤٢١/٦).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب الأدب، باب: هجاء المشركين (٣٦/٨) رقم (٦١٥٣)، واللفظ له، ومسلم في "صحيحه" في كتاب الفضائل، باب: فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه (١٩٣٣/٤) رقم (٢٤٨٦).

اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»[1]، وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك؛ لأن نفرًا من قريش كانوا يهجون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما يمنع القوم الذين نصروا رسول اللهبسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟**»، فقال حسان: أنا لها[2]. وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ جَابر رضي الله عنه عِنْد ابن مَرْدَوَيْهِ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ، وَرَدَّهُمُ الله بِغَيْظِهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ يحمي أَعْرَاض الْمُسلمين؟**»، فَقَامَ كَعْب، وابن رَوَاحَةَ، وَحَسَّانُ فَقَالَ لِحَسَّانَ: «**اهْجُهُمْ أَنْتَ، فَإِنَّهُ سَيُعِينُكَ عَلَيْهِمْ رُوحُ الْقُدْسِ**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة (١١٢/٤) رقم (٣٢١٢)، ومسلم في "صحيحه" في كتاب الفضائل، باب: فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه (١٩٣٢/٤) رقم (٢٤٨٥)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: المفهم للقرطبي (٤١٩/٦)، وقد نقله عن أبي الفرج الأصبهاني في "الأغاني" دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٤/٤)، والحديث أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" في ترجمة عبد الله بن رواحة رقم (٣٢٩٣) (٩٦/٢٨)، من طريق: محمد بن سعد، نا هوذة بن خليفة، نا عوف، عن محمد، قال: هجا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابَه ثلاثةٌ من كفار قريش: أبو سفيان بن الحارث، وعمرو بن العاص، وابن الزبعري، فقال قائل لعلي:"اهج عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا"،فقال علي:"إن أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت، فقال الرجل:"يا رسول الله أتأذن لعلي كيما يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا؟"، فقال:"ليس هناك –أو: ليس عنده ذلك–، ثم قال للأنصار:«**ما يمنع القوم الذين قد نصروا رسول الله بسلاحهم وأنفسهم أن ينصروه بألسنتهم**»، فقال حسان بن ثابت:"أنا لها يا رسول الله"، ... إلخ. وقد عزاه السيوطي في "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" (٣٣٨/٦) لابن سعد.

(٣) أورده الحافظ في "فتح الباري" (٤١٦/٧)، وقد عزاه السيوطي في "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" (٥٩٠/٦) لابن مردويه، وأخرجه بنحوه ابن أبي الدنيا في "الإشراف في منازل الأشراف" (ص: ٢٦٨-٢٦٩) رقم (٣٤٦)، من طريق: يحيى بن إسماعيل، وأبي كريب. وأخرجه الإمام الطبري في "تهذيب الآثار" (٦٣١/٢ مسند عمر) رقم (٩٣١)، من طريق: عبد الرحمن بن صالح. وأخرجه أبو جعفر الطحاوي في "شرح معاني الآثار" (٢٩٧/٤-٢٩٨)

=

وفي رواية مسلم بسنده عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**اهجُ قُرَيشًا؛ فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيهَا مِن رَشقٍ بِالنَّبلِ!**»، فَأَرسَلَ إِلَى ابنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: «**اهجُهُم!**»، فَهَجَاهُم فَلَم يُرضِ، فَأَرسَلَ إِلَى كَعبِ بنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرسَلَ إِلَى حَسَّانَ بنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّادَخَلَ عَلَيهِ قَالَ حَسَّانُ: "قَد آنَ لَكُم أَن تُرسِلُوا إِلَى هَذَا الأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ!"[1]، ثُمَّ أَدلَعَ لِسَانَهُ[2]، ثم جَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فَقَالَ: "وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ

رقم (٧٠٠٠)، من طريق: محمد بن عبد الله بن نمير.

أربعتهم (يحيى بن إسماعيل، وأبو كريب، وعبد الرحمن بن صالح، ومحمد بن عبد الله بن نمير)،عن محمد بن فضيل، عن مجالد، عن عامر، عن جابر بن عبد الله، قال: لما كان يوم الأحزاب، وردَّ الله المشركين بغيظهم لم ينالوا خيرًا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من يحمي أعراض المسلمين؟**»، قال كعب بن مالك: "أنا"، وقال ابن رواحة: "أنا يا رسول الله"، قال: «إنك لحسن الشعر»، وقال حسان بن ثابت: "أنا يا رسول الله"، قال: «**نعم اهجهم أنت وسيعينك روح القدس**»، وهو حديث ضعيف الإسناد؛ فقد قال ابن عدي في "الكامل في ضعفاء الرجال" (١٦٩/٨) في مجالد: "ومجالد له عن الشعبي عن جابر أحاديث صالحة، وعن غير جابر من الصحابة أحاديث صالحة، وجملة ما يرويه عن الشعبي قد رواه عن غير الشعبي، ولكن أكثر روايته عنه، وعامة ما يرويه غير محفوظ".

(١) قوله: "قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه"، هذا مدح لنفسه، شبَّه نفسه بالأسد إذا غضب فحمي، وذلك أنه غضب لهجو قريش للنبي صلى الله عليه وسلم، واحتدَّ لذلك، واستحضر في ذهنه هجو قريش، فتصوره، وأحس أنه قد أعين على ذلك ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، فقال تلك الكلمات مظهرًا لنعمة الله تعالى عليه، وأنه قد أجيب فيه دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، وليفخر بمعونة الله تعالى له على ذلك. وتنزل هذا الافتخار في هذا الموطن منزلة افتخار الأبطال في حال القتال، فإنَّهم يمدحون أنفسهم ويذكرون مآثرهم ومناقبهم في تلك الحال نظمًا ونثرًا، وذلك يدلّ على ثبوت الجأش وشجاعة النفس وقوة العقل والصَّبر وإظهار كل ذلك للعدو وإغلاظ عليهم وإرهاب لهم، وكل هذا الافتخار يوصل إلى رضا الغفار، فلا عتب ولا إنكار. انظر: "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" (٤٢٤/٦).

(٢) **أدلع لسانه**: أي أخرجه وحرَّكه، كأنه كان يعدُّه للإنشاد. انظر: المصدر السابق (٤٢٤/٦).

لَأَفرِيَنَّهُم بِلِسَانِي فَرِيَ الأَدِيمِ![1]"، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**لَا تَعجَل، فَإِنَّ أَبَا بَكرٍ أَعلَمُ قُرَيشٍ بِأَنسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِم نَسَبًا حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي!**»، فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللهِ، قَد لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنهُم كَمَا تُسَلُّ الشَّعرَةُ مِن العَجِينِ!"، قَالَت عَائِشَةُ: فَسَمِعتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لِحَسَّانَ: «**إِنَّ رُوحَ القُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحتَ[2] عَن الله وَرَسُولِهِ**»، وَقَالَت: سَمِعتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**هَجَاهُم حَسَّانُ، فَشَفَى وَاشتَفَى[3]**»[4].

فقوله: «**فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيهَا مِن رَشقٍ بِالنَّبلِ!**» فيه: أنه يُتعرض لنكاية الأعداء بكل ما يؤلمهم من القول والفعل نصرةً للدين والوطن وأهله.

كما أن اختيار النبي صلى الله عليه وسلم حسان من بين الثلاثة المرشحين رضي الله عنهم للدفاع عن أعراض المسلمين ضد المشركين، يفيدنا أنه ينبغي على كل مسؤول انتقاء أفضل العناصر الإعلامية وتوجيه طاقاتهم نحو إبراز مكانة الوطن ومحاسن أهله، ودحض الافتراءات والشبهات المثارة حوله من الأعداء.

وفي هذه الروايات: بيان فضل المنافحة عن الوطن، بجميع ما يملكهالشخص، من لسان، أو يد، أو عِرض، أو مال، أو غير ذلك.

---

(١) قوله: "والذي بعثك بالحق لأفرينَّهم بلساني فَرِيَ الأديم"؛ أي: لأمزقنهم بالهجو كما يمزق الجلد بعد الدِّباغ، فإنَّه يقطع خفافًا ونعالًا وغير ذلك. انظر: المصدر السابق (٦/٤٢٤).

(٢) **المنافحة**: المخاصمة والمجادلة، وأصلها الدَّفع. يقال: نفحت الناقة الحالب برجلها أي دفعته. ونفحه بسيفه، أي: ضربه به من بعيد. انظر: المصدر السابق (٦/٤٢٥).

(٣) **فشفى واشتفى**: أي: شفى الألم الذي أحدثه هجوهم، واشتفى هو في نفسه، أي: أصاب منهم بثأره شفاء. انظر: المصدر السابق (٦/٤٢٥).

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" في كتاب الفضائل، باب: فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه (٤/١٩٣٥-١٩٣٦) رقم (٢٤٩٠).

ونختم هذه المسألة ببيان أنه يجب على كل فردٍ استشعار المسئولية تجاه الوطن: فقد روى البخاري بسنده عن النُّعْمَانَ ابْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قَالَ: «**مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا**»[1]. قوله: (**مثل القائم على حدود الله تعالى**) أي: المستقيم على ما منع الله تعالى من مجاوزتها، ويقال: القائم بأمر الله معناه: الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر. (**والواقع فيها**) أي: في الحدود، أي: التارك للمعروف المرتكب للمنكر. يتبين لنا من الحديث: أنه إذا أقيمت الحدود وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر تحصل النجاة للكل وإلا هلك العاصي بالمعصية وغيرهم بترك الإقامة[2].

المسألة الخامسة: الدعاء للوطن.

إن من حق الوطن على أهله أن يستفرغوا وُسْعَهم، ويبذلوا جُهدهم في العناية به ورعايته، وقبل ذلك وبعده يتوجهون إلى الله تعالى بالدعاء متضرعين راجين أن يعينهم على الوفاء بحق نعمة الوطن، وأن يبارك لهم في أرزاقه وإمكاناته وخيراته، ويجعله آمنًا مطمئنًا، سخاءً رخاءً، وهذا المعنى يدل عليه ما يأتي:

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب الشركة، باب: هل يقرع في القسمة، والاستهام فيه (١٣٩/٣) رقم (٢٤٩٣).

(٢) "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، لبدر الدين العيني (٥٦/١٣-٥٧)، بتصرف واختصار.

١- دعوة إبراهيم عليه السلام لمكة المكرمة كما حكى عنه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة:١٢٦]، فهذا نموذج من الدعوات التي التي تضرع بها إبراهيم الخليل إلى ربه، والمعنى: أضرع إليك يا إلهي، أن تجعل الموضع الذي فيه بيتك مكانًا يأنس إليه الناس، ويأمنون فيه من الخوف، ويجدون فيه كل ما يرجون من أمان واطمئنان، كما أسألك يا إلهي، أن تجعل هذا البلد بلدًا آمنًا، وأسألك كذلك أن ترزق المؤمنين من أهله من الثمرات ما يسد حاجاتهم، ويغنيهم من الاحتياج إلى غيرك.وإنما طلب إبراهيم عليه السلام من الله أن يجعل مكة بلدًا آمنًا، وأن يرزق أهلها من الثمرات بما يغنيهم؛ لأن البلد إذا امتدت إليه ظلال الأمن، وكانت مَطَالِبُ الحياة فيه مُيسرة، أقبل أهله على طاعة الله بقلوب مطمئنة وتفرغوا لذلك بنفوس مستقرة)[(١)].

(ولقد كانت دعوة إبراهيم هذه من جوامع كلم النُّبوءة؛ فإن أمْنَ البلاد والسُّبلِ يستتبع جميعَ خصالِ سعادةِ الحياة، ويقتضي العدلَ والعزةَ والرخاءَ؛ إذ لا أمْن بدونها، وهو يستتبع التعميرَ، والإقبالَ على ما ينفع، والثروةَ، فلا يختل الأمن إلا إذا اختلت الثلاثة الأُوَل، وإذا اختل اختلت الثلاثة الأخيرة، وإنما أراد بذلك تيسير الإقامة فيه على سكانِه لتوطيد وسائلِ ما أراده لذلك البلد من كونه منبع الإسلام)[(٢)].

٢- دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة المنورة، كما روى مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «**اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي**

(١) انظر: "التفسير الوسيط" لطنطاوي، (١/٢٧٠ – ١٧١) بتصرف.
(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١/٧١٥).

ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ مَعَهُ»[1]، وهذا الحديث فيه بيان ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من عظيم الحب للمدينة المنورة، وحرصه على مصالحها ورغَدِ العيش فيها، والبركة في تجارتها وزروعها وغِلالِها، وقد استجاب الله تعالى دعاء نبيه عليه الصلاة والسلام، حتى صرنا في زماننا نرى الملايين يؤمون المدينة لزيارتها ما شَكَا أحد منهم جوعًا أو ضنكًا في المعيشة والمقام فيها.

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" في كتاب الحج، باب: فضل المدينة، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها (٢/١٠٠٠) رقم (١٣٧٣).

الخاتمة: وفيها أهم النتائج المستفادة من البحث وتوصياته.

بعد هذه الجولة المباركة في رحاب السُّنة النبوية مع موضوع: "المسؤولية الوطنية"، نستطيع استخلاص النتائج الآتية.

١- عرف البحث المسؤولية الوطنية بأنها: الانتماء إلى الوطن وحبُّه والإخلاص له، والتمتعُ بكافة الحقوق والمزايا فيه، والقيامُ بالواجبات المفروضة، والتضحيةُ من أجله، والعملُ على نصرته واستقلاله، والدفاعُ عن قضاياه ومقوماته السياسية والاقتصاديّة والثقافيّة وغيرها، وتأمينُ سلامة أراضيه.

٢- حفل القرآن الكريم والسُّنة المطهَّرَة بالكثير من الآيات الشريفة والأحاديث النبوية التي تظهر اهتمامًا بالغًا برعاية الأوطان وبنائها على أسس قويمة، وحمايتها من عوامل الانحراف والشبهات التي تعصف بسلامة المجتمع المسلم وأمنه واستقراره.

٣- دلت السُّنة النبوية بقوة على أهمية الأوطان في نفوس أهلها، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد دَعَا أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ رَحْمَتِهِ مَنْ أَخْرَجَهُ مِنْ أَرْضِهِ، وَأَنْ يُبْعِدَ اللهُ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ وَطَنِهِ.

٤- أشارت السُّنة النبوية إلى أن مفارقة الوطن والبعد عنه نوعٌ من أنواع العذاب النفسي، وأنه لا يجد الرَّجُل لذة عيشه، ولا راحة نفسه وبالِه، إلا بالمكث والقرار على أرض وطنه.

٥- عناية القرآن الكريم والسُّنة النبوية بتربية الإنسان على استشعار ما للوطن من أفضالٍ سابقةٍ ولاحقة عليه -بعد فضل الله سبحانه وتعالى- منذ نعومة أظفاره، ومن ثمّ تربيته على رد الجميل، ومجازاة الإحسان بالإحسان، لاسيما أن تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف تحث على ذلك، وترشد إليه كما في قوله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠].

٦- أثبتت السُّنة النبويةعلاقة حب الوطن بالمقاصد الشرعية، حيث ورد في الأحاديث الشريفة أنَّ من مات من المسلمين يدافع عن وطنه المعتدَى عليه، فإنه مات يدافع عن جميع هذه المقاصد أو بعضها؛ وبالتالي فهو شهيد، وهذا أعظم برهان على بيان علاقة حب الوطن بالمقاصد الشرعية.

٧- أظهر البحث أنه لا تعارض بين حب الوطن والانتماء إلى الأمة الإسلامية، فبِوُسع الإنسان أن يحب وطنه، ويحب إخوانه المسلمين في الأقطار الأخرى، فكما أن حب الوطن لا يناقض حب الأسرة؛ بل يكون متمِّمًا لها، كذلك حب الوطن لا يناقض حب المسلمين أينما كانوا؛ بل يكون متممًا له أيضًا.

٨- بيَّنَتْ السُّنة النبوية **أن من دلائل محبة الوطن وصدق الانتماء إليه:** التوجه إلى الله تعالى بالدعاء الصادق أن يبارك هذا الوطن وما فيه، ويحبِّبه إلى قاطِنِيه.

٩- بيَّنَتْ السُّنة النبوية **أن من علامات الوفاء للوطن وصدق الانتماء إليه:** التعرف إلى جغرافيته ومكوناته البارزة ومعالمه المتميزة، والدعوة النبوية الكريمة إلى تسجيل المعالم الجغرافية المهمة للأوطان؛ لتتوارثها الأجيال حتى تبقى محفوظة من التغيير ولا تصيبها عوامل الاندثار.

١٠- أظهر البحث أن حُب الإنسان لوطنه، وحرصه على المحافظة عليه واغتنام خيراته، إنما هو تحقيقٌ لمعنى الاستخلاف الذي كلَّف الله تعالى به آدم وذريته.

١١- بيَّنتِ السُّنة النبوية أن من حق الوطن على أهله: المشاركة في تخطيطه وتطويره؛ فقد كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم قائمة على التخطيط، فلم يكن يقدم على شيء حتى: يحدد هدفه، ويُحكم فيه التخطيط، ويُحسن فيه التدبير، وذلك بعد توكله على الله عز وجل.

١٢- تجلى اهتمام السُّنة النبوية بالتخطيط والتطوير لإقامة حضارة الوطن وإرساء دعائمها من خلال الحث على الجانبين الروحي والمادي اللذيْن يُشَكِّلان عماد الحضارة وأهم مقوماتها.

١٣- اهتمت السُّنة النبوية بالدعوة إلى العمل عمومًا، ولكن برز اهتمامها أكثر بجودة العمل وإتقانه، وتحسين منتَجَاته بما يكفل للمجتمع تحقيق التنمية الشاملة التي يسعى إليها وصلًا إلى كفاية المواطنين وتلبية حاجياتهم بما يضمن لهم مستوىً متميزًا من العيشة الكريمة والحياة المطمئنة.

١٤- أبرز البحث أن الحفاظ على الحق العام **من الأمور المهمة في تطوير الوطن؛** فقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس شركاءُ في الأمورِ الأساسية التي لا غنى عنها لأحد من الناس، لا يجوز لأحد الاستئثارُ بها، أو الاعتداء عليها.

١٥- أظهر البحث أن صيانة المال العام والمحافظة عليه أشد وأعظم؛ لأن نفعه أعم، ويعود على جميع أفراد الأمة، وتَعَلُّقه بمصلحة البلد كلها، ولكثرة الحقوق المتعلقة به، وتَعَدُّد الذِّمم المالِكة له، فمن اخذ منه شيئًا بغير حقٍّ فقد اعتدى على جميع أفراد البلد.

١٦- حذرت السُّنة تحذيرًا شديدًا من الغلول والاعتداء على المال العام، وبيَّنَتْ عاقبة الغَالِّ الشنيعة في أحاديث كثيرة.

١٧- بيَّن البحث أن المحافظة على المال العام للدولة يشمل أمرين: أحدهما، صيانته من الضياع أو القسمة الجائرة أو الأخذ منه بغير وجهِ حقٍّ، أو منعه عن مستحقيه. والآخر: تنميته واستثماره فيما أحل الله؛ لتحقيق الرخاء لجميع أفراد الدولة.

١٨- من مظاهر حب الوطن: أن يعمل الإنسان ما استطاع من أجل حماية مكاسب وطنه، وصيانة خيراته ومقدراته، ويكون عينًا حارسة له من كل عدو ومتربص في الداخل أو الخارج.

١٩- حث السُّنة النبوية على الإسهام الفاعل والإيجابي في كل ما من شأنه خدمة الوطن ورفعته، سواءٌ كان ذلك الإسهام قوليًّا أو عمليًّا أو فكريًّا، وفي أي مجالٍ أو ميدان؛ لأن ذلك واجب الجميع، وهو أمرٌ يعود عليهم بالنفع والفائدة على المستوى الفردي والاجتماعي.

٢٠- اهتمام السُّنة النبوية بالتصدّي لكل أمر يترتب عليه الإخلال بأمن وسلامة الوطن، والعمل على رد ذلك بمختلف الوسائل والإمكانات الممكنة والْمُتاحة.

٢١- توجيه السُّنة النبوية أصحاب الكفاءات إلى الدفاع عن الوطن عند الحاجة إلى ذلك بالقول أو العمل، كل حسب ما يُحسنه ويتقنه.

٢٢- من أجل التحريض على حماية الوطن والدفاع عنه، فقد عَظَّمت السُّنة النبوية الجزاء لمن بات ساهرًا على رعاية أمن وطنه، مرابطًا على ثغوره ليكسر مطامع الأعداء في التسلل إليه، ويصدهم عن تحقيق مآربهم بالاعتداء عليه، وهذا ما نجده في أحاديث شريفة كثيرة.

٢٣- من عظمة الإسلام أنه عدَّ الموت دفاعًا عن النفس والعرض والمال والوطن شهادةً في سبيل الله تعالى تستوجب الفوز بالجنة إذا كانت النية خالصة لوجه الله تعالى.

٢٤- أبرز البحث **أن الدفاع عن الوطن إنما ينصرف بداهة إلى أعداء الخارج، لكن الدفاع عن الوطن ضد أعداء الداخل لا يقل أهمية عنه بل قد يفوقه جدًّا**، مثل محاربة أهل التطرف والإرهاب والمخدرات، الذين تتضمّن مخططاتهم مفاسدَ كبيرة، وشرورًا عظيمة، وأن كلَّ مَن سَكَت عن واحدٍ من المخربين للأوطان أو آوَاه وتَسَتَّر عليه وسانده، ملعون، ولا خير فيه لوطنه.

٢٥- أوضحت السُّنة النبوية أن الدفاع عن الوطن كما يكون بالنفْس والسِّنَان فإن يكون كذلك بالمال واللسان، ويتفاوت الناس في ذلك تبعًا لما منحهم الله تعالى من الطاقات والقدرات وأسباب القوة.

٢٦- أشارت السُّنة النبوية إلى أنه ينبغي على كل مسؤول انتقاء أفضل العناصر الإعلامية وتوجيه طاقاتهم نحو إبراز مكانة الوطن ومحاسن أهله، ودحض الافتراءات والشبهات المثارة حوله من الأعداء.

٢٧- أثبت القرآن الكريم والسُّنة النبوية أنه من حق الوطن على أهله أن يستفرغوا وُسْعَهم، ويبذلوا جُهدهم في العناية به ورعايته، وقبل ذلك وبعده يتوجهون إلى الله تعالى بالدعاء متضرعين راجين أن يعينهم على الوفاء بحق نعمة الوطن، وأن يبارك لهم في أرزاقه وإمكاناته وخيراته، ويجعله آمنًا مطمئنًا، سخاءً رخاءً.

ويطيب لي أن أتقدم بهذه التوصيات الآتية:

(١) العمل الجاد من أجل غرس حب الانتماء الإيجابي للوطن، وتوضيح معنى ذلك الحب، وبيان كيفيته الْمُثلى من خلال مختلف المؤسسات التربوية في المجتمع كالبيت، والمدرسة، والمسجد، والنادي، ومكان العمل، وعبر وسائل الإعلام المختلفة مقروءةً، أو مسموعةً، أو مرئية.

(٢) دعوة الجهات ذات الاختصاص بإعداد برامج التوعية الخاصة بالتعرف على تاريخ الوطن وجغرافيته ورموزه ورجاله؛ لتعميق الانتماء إلى الوطن وحُبِّه في نفوس المواطنين.

العناية التامة بتربية أبناء الوطن على تقدير خيرات الوطن ومعطياته والمحافظة على مرافقه ومُكتسباته، التي من حق الجميع أن ينعُم بها، وأن يتمتع بحظه منها كاملًا غير منقوص.

قائمة المراجع

الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، للدكتور/ محمد محمد حسين، الطبعة السادسة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٣هـ.
الآحاد والمثاني، لابن أبي عاصم الشيباني، ط دار الراية، بالرياض، بتحقيق: د. باسم فيصل الجوابرة، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
أحكام القرآن، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
الأدب المفرد، للإمام البخاري، ط دار البشائر الإسلامية، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثالثة، سنة الطبع: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
الأدب النبوي، للدكتور/ محمد عبد العزيز الخَوْلي، ط دار المعرفة - بيروت، الطبعة الرابعة، سنة: ١٤٢٣ه.
الإشراف في منازل الأشراف، لابن أبي الدنيا، تحقيق: د نجم عبد الرحمن خلف، ط مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١١ه - ١٩٩٠م.
أصول الفقه، د. محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي - القاهرة، بدون طبعة ولا تاريخ.
الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، إعداد/ الدكتور/ محمد عمارة، طبعة بيروت، ١٩٧٢م.
الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، ط دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية
إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، تحقيق: الدكتور/ يحيى إسماعيل، ط دار الوفاء - مصر، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٩ه - ١٩٩٨م.
البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، ط دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٢٦ه - ١٤٣٦ه.
بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للحارث ابن أبي أسامة، ط مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، بتحقيق: الدكتور حسين أحمد صالح

الباكري، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
تاج العروس، لمحمد مرتضى الزبيدي، ط: دار الصادق - بيروت.
تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة: ١٤١٥ه - ١٩٩٥م.
تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ط الدار التونسية للنشر - تونس، سنة: ١٩٨٤ه.
التخطيط في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، للدكتور/ خيري حافظ الأغا، بدون دار طبع، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٣٢ه - ٢٠١١م.
التربية الأخلاقية الإسلامية، لمقداد يالجن، ط مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، سنة: ١٩٧٧م.
تفسير المراغي، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الأولى، سنة: ١٣٦٥ه - ١٩٤٦م.
التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى، تاريخ النشر: من عام ١٩٩٧م حتى ١٩٩٨م.
التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، ط وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، سنة: ١٣٨٧ه.
تهذيب الآثار، مسند عمر، للإمام ابن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط مطبعة المدني - القاهرة، بدون رقم طبعة وتاريخ.
تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير، للأستاذ الدكتور/ مروان شاهين.
جامع الإمام الترمذي، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، بتحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرين، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، سنة: ١٣٨٤ه – ١٩٦٤م.
الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث، لأحمد بن عبد الكريم العامري، تحقيق: بكر عبد الله أبو زيد، ط دار الراية - الرياض، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٢ه.

الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م.
حاشية السندي على مسند أحمد، تحقيق: نور الدين طالب، ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، سنة: ١٤٢٨ه - ٢٠٠٨م.
الحديث والمحدثون، للشيخ محمد محمد أبو زهو، ط دار الفكر العربي، القاهرة، سنة الطبع: ١٣٧٨هـ.
حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي، للشيخ/ محمد الغزالي، طبعة مكتبة نهضة مصر - القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة: ٢٠٠٥م.
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، ط السعادة، مصر، سنة الطبع: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام السيوطي، ط دار الفكر - بيروت، بدون رقم طبعة وتاريخ.
دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٧ه.
الدراية في تخريج أحاديث الهداية، للحافظ ابن حجر، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، ط دار المعرفة - بيروت، بدون رقم طبعة وتاريخ.
ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، لمحمد بن علي آدم الإثيوبي، ط دار آل بروم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٢٤ه - ٢٠٠٣م.
ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار، مطبوع مع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ط دار الكتب العلمية - بيروت.
ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، للزمخشري، ط مؤسسة الأعلمي - بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٢ه.
الرد على سير الأوزاعي، لأبي يوسف القاضي، صححه وعلق عليه: أبو الوفا الأفغاني، عني بنشره: لجنة إحياء المعارف النعمانية، بحيدر آباد الدكن، بالهند، وأشرف على طبعه: رضوان محمد رضوان وكيل لجنة إحياء المعارف النعمانية بمصر، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
الرسالة الخالدة، للدكتور/ عبد الرحمن عزام، ط مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، سنة: ١٣٦٥هـ.
الرسائل، لأبي عثمان الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة: ١٣٨٤ه - ١٩٦٤م.

سنن ابن ماجة، ط دار إحياء الكتب العربية، وفيصل عيسى البابي الحلبي، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بدون تاريخ، وبدون تاريخ.
سنن أبي داود، ط المكتبة العصرية، بيروت، بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بدون رقم الطبعة، وبدون تاريخ.
سنن الدارمي، ط دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، بتحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.
السنن الكبرى، للنسائي، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، بتحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، بإشراف: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
سنن النسائي، ط مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، بتحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
السياسة الشرعيَّة، لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٨ه.
سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، ط مؤسسة الرسالة، بتحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، الطبعة الثالثة، سنة الطبع: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
شرح معاني الآثار، لأبي جعفر الطحاوي، ط عالم الكتب، بتحقيق: محمد زهري النجار، ومحمد سيد جاد الحق، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
شعب الإيمان، للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٠هـ.
صحيح البخاري، ط دار طوق النجاة، بتحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٢هـ.
صحيح مسلم، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بدون رقم الطبعة، وبدون تاريخ.
طرح التثريب في شرح التقريب، للحافظ العراقي، الطبعة المصرية القديمة، بدون تحقيق، وبدون رقم الطبعة، وبدون تاريخ.
علل الحديث، لابن أبي حاتم الرازي، ط مطابع الحميضي، بتحقيق: فريق من الباحثين، بإشراف وعناية: الدكتور سعد بن عبد الله الحميد، والدكتور خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن

أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
غريب الحديث، لأبي الفرج ابن الجوزي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، بتحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط دار المعرفة - بيروت، سنة: ١٣٧٩ه.
فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للإمام شمس الدين السخاوي، ط دار المنهاج.
الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد ابن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وعبد الفتاح أبو سنة، ط الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٨ه - ١٩٩٧م.
كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للعجلوني، ط مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي، القاهرة بدون تحقيق، وبدون رقم الطبعة، سنة الطبع: ١٣٥١هـ.
كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني، وصفوة السقا، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، سنة: ١٤٠١ه - ١٩٨١م.
الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لشمس الدين الكرماني، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٣٥٦ه - ١٩٣٧م.
اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، لشمس الدين البِرْماوي، تحقيق: بإشراف نور الدين طالب، ط دار النوادر - سوريا، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٣٣ه - ٢٠١٢م.
لسان الميزان، للحافظ ابن حجر، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، بتحقيق: دائرة المعارف النظامية، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.
اللطائف والظرائف، لأبي منصور الثعالبي، ط دار المناهل - بيروت، بدون رقم طبعة وتاريخ.
المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لأبي حاتم ابن حبان البستي، ط دار الوعي، حلب، بتحقيق: محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٣٦٩هـ.
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، ط مكتبة القدسي، القاهرة، بتحقيق: حسام

الدين القدسي، سنة الطبع: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، بتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، بدون رقم الطبعة، سنة الطبع: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
مختصر زوائد البزار على الكتب الستة ومسند أحمد، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: صبري بن عبد الخالق أبو ذر، ط مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٢ه - ١٩٩٢م.
مختصر سنن أبي داود، للإمام المنذري، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، ط مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٣١ه - ٢٠١٠م.
مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن نور الدين الملا علي القاري، ط دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٢٢ه - ٢٠٠٢م.
المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، ط دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
المستصفى في علم الأصول، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
مسند ابن أبي شيبة، ط دار الوطن، الرياض، بتحقيق: عادل بن يوسف العزازي، وأحمد بن فريد المزيدي، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٩٩٧م.
مسند أبي داود الطيالسي، ط دار هجر، مصر، بتحقيق: الدكتور محمد عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
مسند أبي يعلى الموصلي، ط دار المأمون للتراث، دمشق، بتحقيق: حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
مسند أحمد بن حنبل، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، للدكتور أحمد بن عبد العزيز الحليبي، ط مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٧ه - ١٩٩٤م.
المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب، ط دار القلم- بيروت، والدار الشامية - دمشق، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١١ه.
المعجم الأوسط، للطبراني، ط دار الحرمين بالقاهرة، بتحقيق: أبي معاذ طارق

بن عوض الله، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، بدون رقم الطبعة، وبدون تاريخ.
المعجم الفلسفي، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، سنة: ١٩٧٩م.
المعجم الكبير، للطبراني، ط مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بتحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
معجم الصحابة، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (المتوفى: ٣٥١هـ)، المحقق: صلاح بن سالم المصراتي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، ط عالم الكتب، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.
معجم المعالم الجغرافية في السيرة، لعاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي، ط دار مكة للنشر والتوزيع - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٠٢ه - ١٩٨٢م.
معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني أبو الحسين الرازي، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ه - ١٩٧٩م.
معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محيي الدين مستو وآخرين، ط دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٧ه - ١٩٩٦م.
المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، للدكتور/ يوسف حامد العالم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي - الرياض، الطبعة الثانية، سنة: ١٤١٥ه - ١٩٩٤م.
مقالة الروح الوطنية، للدكتور/ محمد عمارة، مجلة المعرفة، الكتاب العاشر: الوطنية كائن هلامي، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ.
ملخص بحث: "الوطنية وتعدد الثقافات في الفكر الإسلامي"، د. أحمد بن عبد العزيز الحليبي، جامعة الملك فيصل، كلية التربية بالأحساء، قُدِّم للنشر (١٤٢٥/١١/٢٩ه)، وقبل للنشر (١٤٢٦/٤/١٧ه).
المنتخب من مسند عبد بن حميد، ط دار بلنسية للنشر والتوزيع، بتحقيق: الشيخ

مصطفى العدوي، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
المنتخب من مسند عبد بن حميد، ط مكتبة السنة، القاهرة، بتحقيق: صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٩م.
المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، سنة: ١٣٩٢هـ.
الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، من سنة: ١٤٠٤ه - ١٤٢٧ه.
النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، ط المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ه - ١٩٧٩م.
الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام، للدكتور/ سليمان الحقيل، ط دار الشبل - الرياض، الطبعة الثانية، سنة: ١٤١٣هـ.
اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، لزين الدين المناوي، تحقيق: المرتضي الزين أحمد، ط مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، سنة: ١٩٩٩م.